حسن ياسين عبد القادر

١٣ لابد .. من دين الله .. لدنيا الناس

الإعجاز الطبي

في الكتاب والسنة

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

حسن ياسين عبد القادر

١٣ لابد .. من دين الله .. لدنيا الناس

الإعجاز الطبى

فى الكتاب والسنة

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م

أميرة للطباعة

عابدين - ت : ٣٩١٥٨١٧

الإهـــــــداء

إلى روح الإمام الجليل :

ابن القيم الجوزية

غفر الله تعالى له ، وجعل الجنة مأواه

بقدر ما اجتهد ، وعلّم ، وفهم ، وأفهم

أسرار الإعجاز فى الطب النبوى

حسن ياسين

الراجى عفو ربه تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم بقلم د / عبد العظيم ابراهيم المطعنى

القرآن العظيم معجزة جميع الرسل ، وليس معجزة محمد - وحده - ﷺ ، وعلى سائر المرسلين ، والمهمة الإيمانية العظمى التى يؤديها ثبوت إعجاز القرآن ثبوتيا يقينيًا : هى أن القرآن كلام الله وحده وليس كلام أحد سواه ، ليس كلام رسول ، ولا كلام ملائكة ، ولا كلام إنس ، ولا كلام جن . فكل الخلق عاجزون - يقينًا - عن الإتيان بمثل القرآن ، قل أو كثر . فقد تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله فقال: « قُلْ لئِن اجْتَمَعَتِ الإنسُ والْجِنُّ عَلَى أن يأتُوا بِمثْلِ هَذَا الْقُرآنِ لا يَأْتُونَ بمِثْلِه، ولو كَان بَعْضهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء (٨٨)فهذا تحدٍ صريح للثقلين الإنس والجن.

والملائكة داخلون فى المعجز عن الإتيان بمثل القرآن ، ولما كانت الملائكة عبادًا مكرمين ، لا يعصون الله ، ويفعلون ما يؤمرون لم يُدْخلهم الله فى هذا التحدى صراحة . ولكنه درجهم فى وصف العجز عن الإتيان بمثل القرآن فى سياق ضمنى شامل لهم ولغيرهم. ترى ذلك فى الآيتين الكريمتين من سورة هود (١٣ - ١٤) ﴿ أمْ يَقُولُونَ افتَرَاهُ ؟ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مثْله مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِن دُونِ الله إن كُنتُمْ صَادقِينَ * فَإن لَّمَ يَستَجِيبُوا لَكُمْ فَاعلَمُوا أنمَّا أُنزِلَ بِعلمِ اللهِ ، وَأنْ لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ فَهَل أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

فإن قوله تعالى : ﴿ مِن دُونِ اللهِ ﴾ يشمل الملائكة ، والإنس والجن وهذه اشارة حكيمة إلى عجز الأصناف الثلاثة عن الإتيان بمثل القرآن ؛ فهو كلام الله قطعا،

بدليل عجز الخلق عن محاكاته مع توفر الدواعى عند من لم يؤمنوا به على المحاكاة لو استطاعوها ·

فثبت بهذا العجز المستمر صدق رسالة خاتم النبيين ﷺ ، وثبت - كذلك - صحة رسالات الرسل المذكورين فى القرآن الأمين ، مثل :

آدم ، نوح ، ابراهيم ، موسى ، عيسى ، صلى الله عليهم وسلم ، وكذلك بقية الرسل الوارد ذكرهم فى القرآن الخاتم ·

فصار القرآن بهذا معجزة الرسل جميعا ، من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ ·

*   *

ومن أظهر وأعم وجوه إعجاز القرآن أنه كتاب كل عصر ، وكل مصر ، يظهر إعجازه قويا جليا أمام الثقافات المتجددة المُتطورة فكان إعجازه بلاغيا بيانيا ، وقت كانت البلاغة والبيان سمة العصر الذى نزل فيه ، ولُحْمة وسُدى الثقافة التى كانت هى السائدة فى ذلك العصر ، فأقر له معارضوه بالتفرد والتفوق على بلاغتهم وروعة بيانهم ، والسمو المطلق على ألوان ثقافاتهم ، وقد كانت بلاغتهم وبيانهم وثقافتهم القولية والفنية مضرب الأمثال ومحط الآمال · وأحس معارضوه بجلال نظمه ، وسحر بيانه ، وروعة معانيه · فنكصوا عن محاكاته لما رأوه فى مكان « الثريا » رفعة وكمالا ، ورأوا أنفسهم في مكان « الثرى » انحطاطا وكلالا ·

*   *   *

والإعجاز البلاغى هو الذى وقع به التحدى فى عصر النزول ، وقامت به لله الحجة ، وانقطعت به للمعاندين الأعذار ، وهو ، أى الاعجاز البلاغى ، يشمل كل كلمة ، وكل جملة ، وكل اية ، وكل سورة · فما من لفظ فى القرآن الا وهو موسوم بسمات الإعجاز ، مفردات وتراكيب ، وإن كان الإعجاز لا يظهر فى المفردات الا من خلال التراكيب التى هى لبنات فيه :

فإذا نظرنا - مثلا - إلى قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ .. ﴾ البقرة (١٨٠) نجد فى هذا القول الكريم شرطين : الأول : « إذا حضر أحدكم الموت » والثانى :« إن ترك خيراً .. » وأداة الشرط فى الأول « إذا » وفى الثانى : « إن » فلماذا لم تكن الأداة فى الأول: «إن» وفى الثانى « إذا » ؟

والجواب : أن الموت يقين لا ريب فيه ، فكل حى - سوى الله - سيموت لا محالة . فاقتضت البلاغة القرآنية إن تكون الأداة مع الموت هى « إذا » لأن « إذا » تفيد وقوع الشرط على وجـــه التحقيق ، أما مع « ترك الخير » فكانت الأداة هى : « إن» لأن ليس كل ميت يموت يترك مالاً أو ثروة . فما أكثر الذين يموتون فقراء فكانت الأداة « إن » لأنها تفيد الشك فى وقوع الشرط ، يقع أو لا يقع ، ولو جاءت « إذا » مع ترك الخير لكان المعنى أن كل من يموت يترك مالاً . وهذا غير صحيح . ولو جاءت « إن » مع الموت لكان المعنى أن بعض الناس يموت ، وبعضهم لا يموت أبدًا وهذا - كذلك - غير صحيح .

ولهذا جاء النظم القرآنى « إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً » واضعا كل أداة من « إذا » و « إن » فى موضعها لصون المعنى من الخلل والفساد .

ومثال آخر هو قوله تعالى حكاية عن أصحاب الكهف يقول بعضهم لبعض : ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ، وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ الكهف : (٢٠) .

تأمل هذه الآية تر فيها الرجم - أى الضرب حتى الموت - مقدما فى نظم الآية على « الإعادة فى ملة الكفر » واسأل نفسك : هل لهذا التقديم فى الرجم والتأخير فى الإعادة إلى ملة الكفر من داعٍ بلاغى اقتضاه ؟ أم أنهما - أى التقديم والتأخير - سواء فى حكم البلاغة ؟

إذا أحسنت التأمل ، وفتح الله عليك من فيض علمه ، أدركت أن تقديم «الرجم » على « الإعادة فى الكفر » واجب ، وأن « الإعادة فى الكفر » لو قدمتْ على « الرجم » ، لفسد المعنى · ولماذا ؟ لأن القرآن المعجز يتحدث عن شدة تمسك هؤلاء الفتية بالايمان بالله · وأنهم رتبوا نفى الفلاح عن أنفسهم على الإعادة فى ملة الكفر لا على « الرجم » لأن الرجم لو حدث لكان لهم فيه « الشهادة » فى سبيل الله · لذلك قدم الرجم على الإعادة لئلا يُفْهم أن الفتية يعدون القتل فى سبيل عقيدة التوحيد خسرانا وعدم فلاح · ولذلك آخَّر النظم المعجز الاعادة فى ملة الكفر للجمع بين السبب والمسبب، ولدفع إيهام أن الفتية يعدون القتل من أجل عقيدة « التوحيد » خسرانا وعدم فلاح ·

وهكذا نجد نظم القرآن كله مليئا بمثل هذه الأسرار ، ولولا خشية الإطالة لأطلنا فى سوق الأمثلة ·

وهذا ما أدركه العرب - أرباب الفصاحة والبلاغة وسحر البيان · من إعجاز القرآن الحكيم ، ولم تحدثهم أنفسهم أن يحاكوه اعترافا منهم بإعجاز القرآن وعجز أنفسهم :

* *

هذا الاعجاز البلاغى كان هو المناسب لعصر البلاغة وسحر البيان ، ولما كان القرآن « كتاب كل العصور » فإن إعجازه يتجدد بما يناسب كل عصر · وفى عصرنا الحاضر ، الذى أزد هرت فيه العلوم فى كل مجالات أطل علينا القرآن بإعجازات جديدة تواجه كل فرع من فروع العلم الحديث ، وتسمو فوق كل لون من ألوان الثقافة والمعرفة ليكون إعجاز القرآن منارة المؤمنين ، والحجة القاطعة لأعذار المعاندين، فى كل فترة ،وفى كل عصر ،حتى يرث الله الأرض ومن عليها وما عليها ·

* * *

وهذا الكتاب ، الذى نشرته مكتبة وهبة - مشكورة - فى سلسلة « **لابد من دين الله لدنيا النّاس** » قدَّم فيه الأستاذ حسن ياسين عبد القادر ، الصديق القديم الجديد ، والصحفى بجريدة الأهرام . قدَّم نماذج رائعة من الإعجاز الطبى فى «الكتاب العزيز » ثم أضاف إليه نماذج جديدة من الإعجاز فى « الحديث النبوى » وما إن أتاح لى المؤلف الاطلاع على « مخطوطة » هذا الكتاب ، حتى وجدتنى مشدودًا إلى كل سطر فيه ،واقترحت عليه وعلى الأستاذ القدوة وهبة حسن وهبة أن يمثل هذا العمل العدد رقم (١٣) من سلسلة « لابد من دين الله لدنيا الناس » فسارعا بالموافقة على التو ، وحمدت الله على هذا التوفيق بين الرغبات الثلاث ؛ خدمة لدين الله ودنيا الناس معًا . فى هذا الزمان « النكد » الذى تحالفت فيه قوى الباطل على دحر دين الله ، وتقويض دعائم الإيمان . واستجابة منا جميعا لنصرة وعد الله القائل ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ﴾ .

ومن ميزات هذا العمل الطيب أن كل من يقرأه سيقف على ما فيه من صور الإعجاز الطبى فى الكتاب والسنة « لوضوح أسلوبه ، وجمال عرضه ، وصدق لهجته، ودسامة مادته » وجزى الله الجميع خيرًا ، ونفع كل قارئ بما فيه . والحمد لله فى الأولى والآخرة .

د . عبد العظيم إبراهيم المطعنى



المقـــــــدمة

نحمدك اللهم ، حمدا كثيرا ، طيباً مباركاً ، ملء السماء ، وملء الأرض وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد ·

ونصلى ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه ، وسـلك طريقه ، واستضاء بالنور الذى أنزل معه ، ونسلم تسليما كثيرا ·

وبعد

ففى أخريات عام ١٩٩٥ م ، أعلن الأزهر الشريف مسابقة ، كان موضوعها : الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم ·

وقد أثار حماستى ، وانتباهى ، موضوع هذه المسابقة وهو : « الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم » رغم أنى لم أتشرف بالتقدم لهذه المسابقة ، ذلك أنى ظننت أن الأجل المحدد والمعلن للتقدم للمسابقة ربما لا يسعفنى لكى أوفى هذا الموضوع الجليل حقه من البحث والدراسـة الجديرة بعظمة وفخامة موضوع مثل « الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم » غير أنى ظللت مدفوعا للكتابة فى « الإعجاز الطبى فى القرآن والسنة النبوية » وسـألت الله عز وجل أن يوفقنى فيما قصدت ، فاستعنت به سبحانه وتوكلت عليه ·

من المعلوم أن الاعجاز القرآنى - إذا أطلق - ربما لا يعنى إلا الاعجاز البلاغى ، والبيانى ، والاسلوبى للكتاب الحكيم ، لأن هذا المفهوم للاعجاز

كان التحدى ، والتعجيز ، لأمة عرفت بسحر البيان ، وفصاحة القول · لأن هذه الأمة التى امتازت بهذه الخصائص الكلامية ، عجزت عن الإتيان بمثل سورة من محكم التنزيل ·

وقد أثبت القرآن الكريم عليهم هذا العجز الأبدى ،يقول عز وجل : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (١) ·

أما الإعجاز الطبى - في اعتقادى - فهو ما جاء فى الكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، فيما يتعلق بالأطعمة والأشربة ، على سبيل التحليل ، أو التحريم ، وعلم - بعد أربعة عشر قرنا من التنزيل الربانى - الفوائد الصحية لهذه الأطعمة من الطيبات (الحلال) والمضار الصحية أيضاً للخبائث (الحرام) ·

وقد فضلت هذا التعريف للاعجاز الطبى ، قياسا على إعجاز قرآنى آخر ، وهو ما جاء فى القرآن الكريم من إخبار للمستقبل ، بمعنى الإخبار عن أحداث قبل وقوعها مثل إخبار القرآن الكريم عن انتصار الروم بعد هزيمتهم ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ آلم * غُلبتِ الرُّومُ * فِى أدْنَى الأرْضِ وهُم مِّن بَعْدِ غلبهِمْ سيغْلِبُون ﴾ ، وقد حدث ما أخبر به القرآن · فقد دارت رحى الحرب بعد ذلك ، وانتصر الروم ، فى بضع سنين » (٢) ·

ومن الاعجاز القرآنى المخبر عن المستقبل : « ما كان قبيل غزوة بدر الكبرى إذ يقول سبحانه : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ (٣) ، ولقد خرجت قريش بعيرها التى كانت فيها ثروة قريش كلها ، وأراد المؤمنون أن يترصدوها مضايقة

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٨٨ ·

(٢) المعجزة الكبرى القرآن للامام محمد أبو زهرة ·

(٣) سورة الأنفال : الآية ٧ ·

للكفار ، وأن يأخـذوها نظير ما أخرجوا المؤمنين من ديارهم وأموالهم بغير حق ، ولكن أبا سفيان التوى عن طريق يثرب ونجا بالعير ، فكانت المعركة ، فهم أرادوا ابتداء العير . ليست ذات الشوكة . وقد أخبرهم الله تعالى بالنتيجة قبل وقوعها . فقال تعالى : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ فكان هذا إخبارا بمغيب لم يكن إلا فى علم الله تعالى »[1] .

نقول إن الإعجاز القرآنى إذا كان فى أحد معانيه - الإخبار عن المستقبل فإن الاعجاز الطبى فى الكتاب والسنة ، هو الاخبار عن بعض الأطعمة والأشربة على سبيل التوجيه وبيان فوائدها الصحية . أو على سبيل المنع والتحريم وبيان مضارها . ثم يأتى المستقبل ليثبت بيان الفوائد والمضار الصحية لهذه الأطعمة والأشربة ، ونعنى بالمستقبل ما شهد به وأقره الطب الحديث - بعد أربعة عشر قرناً - من نزول القرآن الكريم - وبعد أن قوى هذا الطب ، واستوى على سوقه ، محققا الانتصارات والفتوحات العلمية ، فى مجالات الأغذية ، والعديد من الأوبئة والأمراض ، والأدوية المضادة لهذه الأوبئة والآفات .

كما أن المحرمات ، والمنهيات فى الإسلام . مثل الخمر والزنا ، وأكل الميتة . والدم المسفوح . ولحم الخنزير ، وغيرها . تعتبر من الطب الوقائى فى الإسلام .

ولا نزعم أن التحليل والتحريم بالنسبة للمأكولات ، والأشربة القصد الإسلامى منهما هو الحفاظ ، وصون الصحة البدنية للإنسان فقط . فليس كتاب الله تعالى ، ولا سنة نبيه عليه الصلاة والسلام من علوم الأحياء ، أو الصحة . أو علم الصيدلة والدواء . وإنما أنزل الله تعالى كتابه العزيز على رسوله محمد ﷺ ، لكى يكون ذلك الكتاب ، والسنة المطهرة منهاجا لحياة

---

(١) المصدر السابق بتصرف .

البشرية يقول تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً ﴾ (١) ، ويقول عز وجل : ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ واحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، فَإِنْ تَوَلَّوا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ (٢) ، فكتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام هما النظام والمنهج والصراط المستقيم للحياة الأولى ، والآخرة للإنسان ، ولا بديل ولا نظير لهما ، إذا أرادت الإنسانية أن تحيا حياة تسودها العدالة السياسية والاجتماعية حياة قوامها الإخاء ، والطمأنينة والرحمة .

هذا هو القصد الأسمى ، والغاية العليا لدين الله الحنيف وشريعته السماوية .

كما أن مفهوم العبادة لا يتحقق إلا بالطاعة ، طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ولا طاعة إلا بامتثال أوامر الشرع الحكيم واجتناب ما نهى عنه ، فالأمر الشرعى لم يكن إلا لسعادة الإنسان فى العاجلة والآجلة . والنهى الشرعى لم يكن إلا لمضرة المنهى عنه فى الأولى والآخرة : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّن أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ (٣) .

وقد كانت طاعة الله تعالى وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام فريضة على الإنسان لأن هذا الإنسان لم يخلق إلا لذلك ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنهُمْ مِن رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (٤) .

والعبادة فى مفهوم الإسلام وتصوره ليست مقصورة على ما فرض على

(١) سورة النساء : الآية ١٠٥ . (٢) سورة المائدة : الآية ٤٩ .

(٣) سورة التوبة : الآية ١٠٩ .

(٤) سورة الذاريات : الآيات ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ .

المسلم من صلاة وصيام وحج وغيرها من العبادات والقربات . إنما معنى العبادة في الإسلام أعمق من ذلك وأشمل . فالعبادة تشـمل حياة المسلم كلها ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ ، وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1] .

والعبادة بهذا المفهوم الجامع الكبير ، هى رسالة المسلم فى هذه الحياة ، وهى فى الوقت نفسه حقيقة الخلافة فى الأرض ، ولن يستطيع الإنسان أن يؤدى هذه الرسالة العظيمة . على الوجه الأكمل والصحيح . إلا إذا كان صحيح البنية والنفس . ينعم بعافية عضوية ونفسية ، لذلك كانت العافية من أجل النعم التى يمن الخالق سبحانه على عباده .

يقول المصطفى ﷺ : « من أصبح معافى فى بدنه ، آمنا فى سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا »[2] ، والرسول عليه الصلاة والسلام لعلمه بنعمة الصحة وأهميتها للإنسان جعلها فى الأولوية بعد نعمة اليقين فقال صلوات الله تعالى عليه : « أسألوا العفو والعافية فإنه ما أوتى أحد بعد يقين خيراً من معافاة »[3] .

فالصحة لا يعرف قدرها إلا المرضى ، أو كما قيل : « العافية تاج على رءوس الأصحاء لا يبصرها إلا المرضى » وقد استعاذ النبى الكريم عليه الصلاة والسلام من كل ما يقعد عن العبادة والجهاد فى سبيله تعالى فقال : « أعوذ بك من العجز والكسل، ومن الجبن والبخل، ومن غلبة الدين وقهر الرجال » .

ومن أجل مجتمع إسلامى يتمتع أفراده بصحة سليمة ، وعافية بدنية ونفسية دعا الإسلام الحنيف إلى اتباع صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم ، ففى اتباع هذا الصراط ، والعمل بمناهجه السيادة ، والريادة للمسلمين

---

(١) سورة الأنعام : الآيات ١٦٢ ، ١٦٣ .   (٢) الترمذى .
(٣) النسائى .

على من سواهم من المجتمعات ، كما سادوا من قبل أمما وقوميات عديدة حين طبقوا منهج لا إله إلا الله . فكانوا خير أمة أخرجت للناس كما وصفهم بذلك عز وجل : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١) .

كما أن العمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، يحقق للمسلمين الفوز والنجاح فى مجالات الحياة المختلفة - كما قلنا - فإن فى كتاب الله تعالى والسنة المطهرة التوجيه والوسيلة المثلى لمجتمع أفراده ينعمون بصحة جيدة .

وقد بين الإسلام هذا التوجيه الصحى والغذائى والطبى واضعا قواعد للطب الوقائى ، وقواعد أخرى للطب الدوائى :

١ - **الطب الوقائى** : وأغلب شروطه محصورة فيما نهى عنه الدين الحنيف : مثل تناول بعض الأطعمة والأشربة ، والانحراف ، والخروج عن النظام الإسلامى فى العلاقة بين الرجل والمرأة ، وكذلك من الطب الوقائى فى الإسلام النهى عن الإسراف فى المأكل والمشرب . لأن الإسراف فى الطعام والشراب من العادات السيئة ، والضارة بصحة الإنسان ، فكان من عظمة الإسلام أن يحارب هذا الإسراف . قال تعالى : ﴿ وَكُلُواْ وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٢) .

والسياسة الإسلامية الحكيمة فى علم الغذاء ، والمحافظة ، على صحة الإنسان من العلل التى تفتك بهذه الطاقة الحيوية ، أشاد بها كمعجزة طبية كل من أوتى ذكاء وبصيرة وقادة . سواء كان مسلما أو غير مسلم . فهذا أحد كتاب الغرب روندساند مؤلف كتاب « الطب الاجتماعى » يقول : « إن تعاليم الإسلام الدينية تحسن الصحة ، فهى تدعو إلى القناعة وعدم الإسراف فى الأكل والشرب . والنظافة ، والاغتسال بالماء الطاهر والوضوء خمس مرات فى

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٠ . (٢) سورة الأعراف : الآية ٣١ .

اليوم ، قبل كل صلاة ، وإن الصلاة مجموعة من حركات رياضية . وأن الإسلام يعزل المرضى المصابين بأمراض معدية »[1] .

٢ – **الطب الدوائى** : إن إقرار الإسلام للطب الوقائى هدفه – كما قلنا – هو الحرص الأكيد على محاربة أسباب المرض ، ودوافعه قبل أن تقتل صحة المجتمع المسلم البدنية والنفسية .

أما إذا حدث ما لم يكن فى الحسبان فكان المرض . فعندئذ للإسلام موقف عملى وواقعى هو النصح أو الأمر بدواءين :

احدهما الدواء أو العقار الذى يصنعه الإنسان ، ويثبت فاعليته ، بعد تجارب متعددة . أو بعد استخداماته علاجا لبعض الأمراض .

والثانى : هو توجيهات الإسلام حيال كل مشكلة تواجه المسلم فى حياته .

هذه التوجيهات التى تنحصر فى التمسك بالقيم الإيمانية . مثل قيمة الصبر والتوكل على الله تعالى . والتفويض . وعدم اليأس من رحمة الله تعالى وغيرها من معانى الاعتصام بحبل الله تعالى التى تشد من أزر المؤمن وتثبت قواه وكيانه .

* *

---

(١) الوجيز فى الطب الإسلامى د . هشام إبراهيم الخطيب .

أنواع الدواء بحسب الواقع

وإليك الدواءين بشىء من التفصيل :

١ - **الدواء الطبيعي** :« عن أسامة بن شريك قال : كنت عند النبى ﷺ ، وجاءت الأعراب فقالوا يا رسول الله ! انتداوى ؟ فقال : « نعم يا عباد الله تداووا ، فإن الله عز وجل ، لم يضع داء ، إلا وضع له شفاء غير داء واحد » قالوا ما هو ؟ قال « الهرم[١] » ، وقال ﷺ : « إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ، علمه من علمه ، وجهله من جهله »[٢] .

وتناول الدواء دفعا للمرض ، ما هو إلاسبب للشفاء ، ومن البدهى أن الإسلام حث على اتخاذ الأسباب فهى الوسيلة - بعد مشيئة الله تعالى - للبلوغ إلى الغايات ، ولا تعارض بين اللجوء إلى الأسباب ، والإيمان بالمشيئة أو الإرادة الآلهية ، وسيأتى الحديث فى هذه المسألة عند الكلام عن دور العدوى كناقل للأوبئة .

كما أن التعويل على الأسباب لا يناقض مبدأ التوكل أو التفويض أو الاعتماد على الله جل وعلا ، فمباشرة الأسباب ينبغى أن تكون مقرونة بالتوكل فتجاهل الأسباب ، أو إهمالها تواكل ، وليس توكلا « ومباشرة السبب وحدها والثقة الكاملة فى فاعلية السبب وحدها نوع من الشرك [٣] ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [٤] .

ويجدر بنا أن نعرض فقها ذكيا - فى هذا المقام - لإمام جليل وعالم فذ هو ابن القيم الجوزية الذى قال رحمه الله - مستعرضا الكلام فى أمر التداوى « وأنه لا ينافى دفع داء الجوع والعطش ، والحر بأضدادها ، بل لا يتم حقيقة

---

(١) مسند الإمام أحمد .
(٢) المصدر السابق .
(٣) مفتاح دار السعادة .
(٤) الشعراء : ٨٠ .

التوحيد إلا بمباشرة الأسباب ، التى نصبها الله مقتضيات لمسبباتها ، قدرا وشرعا وأن تعطيلها يقدح فى نفس التوكل ، كما يقدح فى الأمر والحكمة ، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى فى التوكل ، فإن تركها عجزاً ينافى التوكل ، الذى حقيقته اعتماد القلب على الله فى حصول ما ينفع العبد فى دينه ودنياه ، ولابد مع هذا الاعتمـــاد ، من مباشرة الأسـباب ، وإلا كان معطلا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلا،ولا توكله عجزاً » [١] .

وقد اشترط الإسلام فى الدواء الذى يصنعه الإنسان أن يكون حلالاً لأن الحرام - فى التصور الإسلامى - لا يكون دواء بل هو داء يجب اجتنابه ولذلك يقول خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام : « إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » [٢] ذلك أن الحرام إنما حرم لأنه خبيث . والخبيث داء وليس دواء ، وهذا ما أجاب به النبى ﷺ ، عندما سئل عن الخمر يجعل فى الدواء . فقال : « إنها داء وليس دواء » [٣] وسيأتى الحديث - إن شاء الله تعالى - عن مضار الخمر الصحية والنفسية .

والإمام ابن القيم ؒ بما منَّ الله تعالى عليه من بصيرة وحكمة وفقه فى الدين له فهم وعلم فى توجيـه تحريم التداوى بالمحرم يقول رحـمه الله تعالى : « . . . فإن فى إباحة التداوى به ، ولا سيما إذا كانت النفوس تميل إليه . ذريعة إلى تناوله للشهوة واللذة ، ولا سيما إذا عرفت النفوس أنه نافع لها . مزيل لأسقامها . جالب لشفائها ، فهذا أحب شىء إليها ، والشارع سد الذريعة إلى تناوله بكل ممكن ، ولا ريب أن بين سد الذريعة إلى تناوله وفتح الذريعة إلى تناوله . تناقضا وتعارضا » [٤] .

٢ - **الدواء الإلهى** : إن المرض ابتلاء من الله تعالى لعباده :« والمريض

---

(١) الطب النبوى لابن القيم .
(٢) البخارى .
(٣) أبو داود والترمذى .
(٤) الطب النبوى .

كأى مبتلى مطالب - إسلاميا - بالصبر والتضرع بالدعاء إليه تعالى أن يمن الله تعالى عليه بالشفاء العاجل . هذا مع التداوى وتناول الدواء الطبيعى بصفة منتظمة وكما ينصحه به طبيبه . وعلى المريض الإقلاع عن الجزع . وعدم اليأس من رحمة الله تعالى ، لكى يؤجر ويثاب ، لأن النبى ﷺ يقول : « ما يصيب المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها خطاياه »[1] .

* *

نسأل الله تعالى أن يجعل عملنا هذا صوابا وخالصا لوجهه الكريم ، وأن يرزقنا أجر المجتهد إذا أصاب ، أو أخطأ ، كما نسأله عز وجل أن يرزقنا فهم كتابه العظيم ، وسنة نبيه وصفيه سيدنا محمد ﷺ ، ويرزقنا العمل بهما . إنه - سبحانه - سميع مجيب .

* * *

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد .

الفصل الأول

ملامح الإعجاز الطبى
فى الطيبات من الرزق

- المبحث الأول : فى عسل النحل
- المبحث الثانى : فى الرطب
- المبحث الثالث : فى الماء
- المبحث الرابع : فى الألبان

الفصل الأول

ملامح الإعجاز الطبى
فى الطيبات من الرزق

يقول الإمام الألوسى ﷺ ، فى كتابه المعروف بروح المعانى عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴾ : أتي بهاتين الصفتين – يعنى الإطعام والإسقاء بعد ما تقدم ، لما أن دوام الحياة ، وبقاء نظام خلق الإنسان بالغذاء ، والشراب ، ما سلك فيهما مسلك العدل وهو أشد احتياجا منه إلى غيرهما ، ألا ترى أن أهـــل النار ، وهم فى النـار ، لم يشغلهم ما هم فيه من العذاب عن طلبهمـــا ، فقالوا : ﴿ أَفِيضُــوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ .

نعم إن الطعام قوام الكائنات الحية جميعـها ، فلا استمرار ولا بقاء لإنسان ، أو حيوان ، أو نبات بدون غذائه الضرورى ، وإن اختلفت نوعية الغذاء هذه باختلاف نوع الكائن الحى .

والإسلام لما كان دينا واقعيا لا رهبانية فيه ولا كهنوتية ، أحل الطيبات من الرزق ، حتى يتمكن الإنسان ، ويستطيع عمارة هذا الكون ، التى هى مطية ووسيلة لعمارة الحياة الآخرة ، يقول تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (١) وقال جل شأنه : ﴿ قُلْ مَنْ حَـــرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ (٢) . والطيبات من الرزق تنحصر فى جميع الأطعمة والأشربة .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٢ . (٢) سورة الأعراف : الآية ٣٢ .

المتوافر فيها جميع العناصر الغذائية ، التى تمد الجسم بالطاقة اللازمة لنموه ، والطيبات تناقضها الخبائث المحرم - إسلامياً - أكلها أو شربها . لا حتوائها على جراثيم ، وميكروبات تدمر صحة الإنسان البدنية والنفسية وبالتالى تحول بينه وبين أداء رسالته العليا فى هذه الحيـــاة ، وهى عــــبادة خالق الإنسان والكون والحـــياة ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١) .

* *

من رحمة الله تعالى التى وسعت كل شيء ، أن أحل لعباده الطيبات من الرزق وما أكثرها وحرم عليهم الخبائث ، وما أشدها ندرة وقلة ، فالطيبات هى القاعدة الكلية والخبائث هى الاستثناء من هذه القاعدة ، فمن هذه الطيبات ، الأطعمة والأشربة التى لا تعد ولا تحصى ، والتى منها الخضراوات ، والألبان ومنتجاتها واللحوم بأنواعها :

١ - **الخضراوات** : ومنها الخس الذى يحتوى على « فيتامنيات وأملاح ومواد مهدئة للأعصاب » (٢) ومنها السبانخ : « الغنى بالبروتين والمعادن والحديد والمغنسيوم والفوسفات واليود » (٣) ، ومنها الكرفس الذى « يستعمل كفاتح للشهية ومدر للبول » (٤) .

٢ - **الفواكه** : مثل الجوافة وهى من « أغنى الفواكه بفيتامين ج ، أ . والخوخ الذى له فوائد غذائية ، وطبية . فهو يستعمل كمطهر ، ومدر للبول وطارد للديدان ، ومهبط للحرارة » (٥) ومنها الكمثرى التى « تحتوى على كمية

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٠٢ .

(٢) العلاج الطبيعى والنباتى على هدى من الكـــتاب والسنة د.محمد حماد ، ود . محمد رجائى .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

من المواد البروتينية ، وتحتوى أيضاً على فيتامين أ · ب ، ومنشط للأمعاء ومدر للبول » [1] .

٣ – من الحبوب : التى لا غنى عنها للانســان القمح والشعير ، والعدس ، والبن ، ومنتجاته ، وكلها من الطيبات ، التى أنعم الله تعالى بها على الإنسان ·

٤ – اللحوم : لما كان الإسلام حريصاً ، على بناء مجتمع يمتاز أفراده بسلامة البنية الصحية ، والنفسية ، ولا يتحقق هذا البناء المجتمعى القوى إلا بالغذاء الصحى الجيد ولا يكون الغذاء صحيا ، وجيداً ، إلا بالطيبات ، التى أحلها الله تعالى ، وباجتناب الخبائث التى حرمت · فمن هذه الطيبات : اللحوم بجميع أنواعها ، سواء كانت لحوما حيوانية أو لحم طير ، أو لحوما بحرية ﴿ وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا ﴾ [2] .

فاللحم متوافر فيه العناصر الغذائية ، مثل البروتينات التى تحتوى على ما يسمى علميا بالأحماض الأمينية ، وهى العناصر الأساسية لبناء أنسجة الجسم وعضلاته كما أن هذه البروتينات الحيوانية ، تشكل قوة دفاع عن جسم الإنسان ضد الميكروبات والجراثيم ، فهى غذاء ودواء ، وهكذا نرى أن الإسلام أولى عناية كبرى بصحة الإنسان عن طريق التغذية ، التى تحتوى على جميع العناصر التى تســاعد على بناء الجسم وتقويته ، ومن هنا ندرك حكمة الإسلام ، فى إباحة اللحوم ، ما دامت هذه اللحوم تندرج تحت مسمى الطيبات من الرزق ، فتحريم ما أحله الله تعالى – كما فعل من يسمون بالنباتيين – ليس رحمة بالحيوان كما يدعون · لأن هؤلاء ليسوا أرحم من الرحمن الرحيم سبحانه · ولأن تحريم الطيب من الطعام يشكل ضررا صحيا على الإنسان · فالذين ضيقوا رحمة الله تعالى الواسعة ، وحرموا على أنفسهم تناول اللحوم تراهم

---

(١) المصدر السابق ·　　　(٢)سوررة النحل : الآية ١٤ ·

ضعاف البنية ، وذوى أجسام هزيلة « والطفل المولود فى الشعوب النباتية لا يزيد وزنه عادة على ٢ كجم ، فى حين أن مثيله فى الشعوب الأخرى يزيد على ٣ كجم » (١) .

إذن لقد جهل هؤلاء القوم ماهية الرحمة الحقيقية ، إن الرحمة بالحيوان هى ألا تتعرض له بأى صورة من صور الإيذاء ، أو التعذيب ، أو الإضرار . إن الإسلام يطالبنا برحمة الحيوان عند ذبحه أيضاً ، وهذا ما يشير إليه قول رسولنا الكريم ﷺ : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحُد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » (٢) هذا هو مفهوم الرحمة فى المنهج الإسلامى ، وهذه هى حضارة الإسلام ، حضارة لا إله إلا الله .

* *

(١) الطب الوقائى فى الإسلام د . شوقى الفنجرى .
(٢) فقه السنة جـ ٣ لفضيلة الشيخ سيد سابق .

المبحث الأول

فى عسل النحل

﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

ويقول الرسول الكريم محمد ﷺ : « عليكم بالشفاءين القرآن والعسل » فكما أن القرآن شفاء للقلوب . مما ران عليها من أدران الشرك والضلالة والانحراف عن صراط الله المستقيم ، فكذلك عسل النحل فيه شفاء لكثير من الأمراض ، وتكمن هنا معجزة القرآن الطبية والدوائية ، فالقرآن الذى أنزل على نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام ، قبل أكثر من أربعة عشر قرنا ، علم الناس أجمعين ، قيمة عسل النحل الغذائية، والدوائية، والشفائية ، ولكى ندرك جيدا معجزة القرآن الطبية ، علينا أن نشير إلى طب الإنسان ، قبل الإسلام لنعرف ماذا قدم مدعو الطب والعلاج - فى ذلك الوقت - لراحة إنسان عصرهم مما يلاقيه من آلام فى جسده . ونفسه ، إنهم لم يعالجوا المريض إلا بالشعوذة ، والدجل ، ومحاربه الأرواح الشريرة - كما زعموا - التى تسكن جسد مريضهم .

نعم لن نعلم معجزة القرآن والسنة النبوية فى فن العلاج ومداواة المرضى إلا إذا درسنا موقف الإسلام من المرض والمريض والدواء .

---

(١) سورة النحل : الآية ٦٨ ، ٦٩ .

روى الإمام البخارى - ﷺ في صحيحه - « عن أبى سعيد الخدرى أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال : أخى يشتكى بطنه . فقال : « اسقه عسلا » ثم أتاه الثانية فقال : « أسقه عسلا » . ثم أتاه الثالثة فقال : « إسقه عسلا » . ثم أتاه فقال : فعلت : فقال : « صـــدق الله ، وكذب بطن أخيك اسقه عسلا » فسقاه فبرأ .

هذا الخبر ، أو الحديث النبوى الذى يروى لنا واقعة معينة ، ربما يطرح تساؤلين يتعين علينا ، أن نجيب عنهما ، ففى هاتين الإجابتين ، بعض أبعاد الإعجاز الطبى فى القرآن ، والسنة ، وأسراره ، وحكمه العليا .

نقول مستعينين بالله عز وجل :

أولا : إن من تعريفات الإسلام التى اطمأن إليها قلبى ووجدانى مع احترامى الشديد لتعريفات علماء التوحيد - هو « الاستسلام والطاعة . الاستسلام لأمر الله عز وجل،والطاعة لشرعه ، والاتباع لرسوله ومنهجه»[1] .

فالآية القرآنية صريحة ، وواضحة ، وجلية . لا لبس فيها ، ولا غموض ، ولا التواء ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ وعلى المسلم بمفهوم الإسلام ، الذى أشرنا إليه آنفا أن يعتقد ، ويؤمن ، اعتقادا ، وإيمانا يستغرقان ، ويملآن قلبه ووجدانه بشفائية العسل ، كما قال أصدق القائلين فى محكم كتابه ، ولقد كان المسلمون الأوائل كذلك ، كانوا إيمانا ، وإسلاما ، وقرآنا ، يمشـــون ، ويروحون ، ويغدون على هذه الأرض .

« فقد أخرج حميد ابن زيجويه عن نافع أن ابن عمر ، ﷺ كان لا يشكو قرحة ، ولا شيئًا ، إلا جعل عسلا حتى الدمل ، إذا كان به طلاه عسلا فقلنا له : تداوى الدمل بالعسل ؟ فقال : أليس الله تعالى يقول : ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ .

---

(١) فى ظلال القرآن .

فالشفاء لا يتم إلا بتوافر ثلاثة شروط :

١ - تناول واستخدام الداء الفعال الخاص بالداء ·

٢ - مشيئة الله تعالى فى الشفاء ·

٣ - الإيمان اليقينى بفعالية وجدوى الدواء - بعد مشيئة الله تعالى هذا الإيمان اليقينى · هو الذى يطلق عليه الطب الحديث بالإيحاء الذاتى ·

ثانيا : قول النبى ﷺ فى حديثه السابق ذكره « صدق الله وكذب بطن أخيك » ونصيحته عليه الصلاة والسلام الشاكى بتكرار الدواء - العسل - يؤكدان نظرية علمية ، وهى أن لكل شىء خاصية · وقد تتخلف هذه الخاصية أحيانا ، لا لقصور فى الخاصية ، وإنما لسبب وعامل خارجى يتعلق بالجهة المستقبلة لهذه الخاصية ، فمن خاصية الماء العذب إنبات الأرض المؤهلة لهذا الإنبات ، ولكن قد لا تنبت الأرض المروية بهذا الماء العذب أحيانا ، ويكون عدم الانبات هذا مسئولية هذه الأرض ، كأن تكون أرضا ملحة ، أو جرداء ، أو صخرية ، وليس مسئولية الإرواء بهذا الماء ·

والبطن الذى لم يشف بالعسل لأول مرة - فى الحديث النبوى - لم يكن لقصور فى الدواء - وهو العسل - وإنما الداء كان فى حاجة لتكرار الدواء لقتل الميكروب كما أن الطب الحديث ينصح المرضى بمداومة تناول الدواء حتى يتمكن الدواء من قتل فيروس المرض قتلا نهائيا ، لئلا ينشط هذا الفيروس فى حالة عدم القضاء عليه بصورة فعالة ·

وهذا ما حدث مع الشاكى ببطنه فى الحديث الذى رواه الإمام البخارى والذى أسلفناه - فقد تم الشفاء بعد أن نصحه الرسول عليه الصلاة والسلام أن يسقى أخاه العسل مرات ثلاثا · فقد جاء فى بعض الروايات « فسقاه فشفاه الله فبرأ كأنما انشط من عقال » [1] .

---

(١) العقال : الحبل الذى يعقل به البعير ·

ولأن معجزة القرآن الطبية التى تلقاها المسلمون الأولون قبل أربعة عشر قرنا ، وآمنوا بها ، وطبقوها عمليا وصحت أبدانهم وقلوبهم ، واستنار وجدانهم بالنور الذى أنزل عليهم ، فسادوا ، وأورثهم الله تعالى الأرض بعد أن كانوا مستضعفين فيها .

لذلك كان حريا وواجبا على طب القرن العشرين أن يتتلمذ ويتلقى الدرس الإلهى ، من رسالة السماء إلى الأرض . من القرآن العظيم والسنة النبوية الصحيحة ، فلم يكن أمام هذا الطب إلا أن يقر ويعترف بفضل علم القرآن الطبى . مؤكدا أن العسل يقتل الجراثيم والميكروبات الضارة بصحة الإنسان فقد « أجرى بعض الأطباء بحوثا على العسل من قبيل زرع جراثيم متنوعة فيه ، فثبت لديهم موتها بعد ساعات من زرعها ، كما أكد البعض الآخر من الأطباء بعد إجرائهم تجارب عديدة أن الجراثيم المرضية التى تصيب الإنسان تموت بالعسل »[1] .

كما اكتشف الطب الحديث معجزات طبية أخرى للنص السامى ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ فظهر جليا لهذا الطب ، أن عسل النحل يعالج الأمراض الجلدية « للعسل تأثيرات موضعية فى معالجة الجروح والقروح ، والأمراض الجلدية المختلفة ، لأن وجوده يساعد فى زيادة إفرازات الجروح لمادة « الفلوتاتيون ، التى لها دور كبير فى عمليات الأكسدة ويزيد فى نمو البراعم الحبيبية واسراع التندب حتى الشفاء » [2] .

ولما كان غذاء النحل مكونا من جميع العناصر الغذائية المفيدة ، ولم يكن غذاؤها بهذه الصورة ، إلا استجابة للإلهام الالهى للنحل ، فقد قال عز وجل موجها خطابه إلى النحل ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ أى - والله تعالى

---

(١) القرآن والطب الحديث د . صادق عبد الرضا .
(٢) المصدر السابق .

أعلم - من كل الثمرات الطيبة المتعددة المنافع ، المختلفة الفوائد ، فكانت فى خلاصة غذائها هذا « شفاء للناس » وقد آمن العلم بذلك ، فكان عسل النحل مكونا من « الماء وكربوهيدرات وفيتامين ب٢ ، وفيتامين جـ وكالسيوم ، وبروتين ، وفيتامين (ب ١) وبوتاسيوم · وحديد وفوسفور ، وغيرها من المعادن ، كما تعطى كل ١٠٠ جرام من عسل النحل ٢٩٤ سعرا حراريا » (١) والفيتامينات التى يحتويها عسل النحل فيتامينات طبيعية ، مثل الخضروات والفواكة الطبيعية ، فقد ثبت أن الفيتامين الطبيعى خير وأفضل « الف مرة من الفيتامين الصناعى ، لأن الأخير يسبب أحيانا بعض أنواع الأورام بسبب وجود الحديد فيها» (٢) صدقت يا رسول الله صلى الله عليك،وعلى آلك وصحبك · صدقت حين قلت وفى كل ما قلته ، وفعلته · صدقت فى قولك « العسل شفاء من كل داء · والقرآن شفاء لما فى الصدور ، فعليكم بالشفاءين : القرآن والعسل » ·

* * *

(١) الأطعمة القرآنية د · محمد كمال عبد العزيز ·

(٢) الأهرام ٩ / ١٠ / ٩٥ الصفحة الأولى ·

المبحث الثانى

فى الرطب

« عن ابن عمر[1] قال : قال رسول الله ﷺ « إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مَثَلَ المسلم ، فحدثونى ما هى ؟ » فوقـــع الناس فى شجر البوادى ، قال عبد الله ، ووقع فى نفسى ، أنها النخلة ، فاستحييت ، ثم قالوا : حدثنا ما هى يا رسول الله قال : « هى النخلة » [2] .

لما كانت النخلة من الأشجار ذات الفوائد والمنافع المتعددة شبهها معلم البشرية وأعلم الخلق بربه عز وجل بالمسلم ، لأن المسلم خيره وصلاحه ، وبره يتعدى ذاته وأهله ، وذويه ، لتمتد ، وتشمل مجتمعه الإسلامى ، وغير الإسلامى ، فالمسلم خير الناس ، وأنفعهم للناس .

ومعرفة الرسول ﷺ - وهو الأمى - بمزايا النخلة العديدة لبنى البشر جميعا ، نقول معرفته عليه الصلاة والسلام - وهو ليس الخبير فى الزراعة ، ولا العالم فى النبات - معرفته بفوائد النخلة الكثيرة معجزة نبوية كبرى ، لأن هذه المعرفة النابعة من معين النبوة ، المشعة من مشكاة من يتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ، سبقت منذ قرون عديدة ، ما عرفه خبراء الزراعة ، وأساتذة النبات بعد أن كلفتهم هذه المعرفة ، سنوات عديدة ، وأموالا طائلة وتجارب شاملة توصلوا من خلالها إلى الجدوى الاقتصادية للنخلة ، وهى أن كل جزء من أجزائها قابل للاستفادة بما فيه « النوى » الذى يصلح علفا للحيوان ، هذا بالإضافة إلى فوائد التمر ، والرطب الطبية ، والدوائية ، فالرحمن الرحيم الرءوف بعباده جل وعلا ، قال مطمئنا ، ومنزلا سكينته على قلب أفضل نساء العالمين ، السيدة مريم ابنة عمران عليها السلام . بعد أن نفخ فيها من روحه

---

(١) هو عبد الله بن عمر .   (٢) فتح البارى جـ١ ص ٢٧٧ .

جلت قدرته ، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[1] فمن فوائد النخلة - التى تشبه فى خيرها المسلم الذى يعم خيره كل الناس - إنتاجهـا للرطب الذى هو غذاء ودواء للوالدة ، لأن الله تعالى العليم القدير لم يأمر السيدة مريم عليها السلام إلا بما فيه الدواء والغذاء - والبلسم الشافى لآلام الولادة، ولم يكن الدواء والغذاء ، إلا الرطب ، ولم يكن ما قاله العلم الحديث عن فوائد الرطب الا من قبيل تحصيل الحاصل ، بالقياس إلى ما أثبته القرآن الكريم ، منذ قرون بعيدة . فلقد قال العلم الحديث إن الرطب « له تأثيـر منبه لحركة الرحم ، وزيادة فترة « انقباضاته » [2] .

« وقد جاءت الأبحاث الطبية الأخيرة لتكشف عن آثار الرطب التى تعادل العقاقير الميسِّرة لعملية الولادة ، والتى تكفل سلامة الأم والجنين معا ، وانقباض الرحم بعد الولادة مباشرة يمنع النزيف ، الحادث بعد الولادة ، ويعود بالرحم إلى حجمه ومكانه الطبيعى قبل الحمل » [3] .

« يقرر العلماء أن بالرطب هرمونا أسموه « البتوسين » الذى يعمل على تقوية عضلات الرحم ، وينظم الانقباضات العضلية ، ومن عجب أن هذا الهرمون يقوم بالعمل وعكسه فى آن واحد ، طبقا لحاجة الجسم ، فهو يزيد من الطلق فى الحوامل عند الولادة ، إذا كان الطلق باردا ، ويقلل منه إذا كان حاميا ، فهو أكبر مساعد دوائى للوضع » [4] .

ومن فوائد منتجات النخيل الطبية الأخرى :

- « جاء فى المراجع الطبية القديمة ، أن أكل التمر على الريق يقتل الدود ، والعجوة أيضًا قيل أنها تقتل الدود فى البطن » [5] .

(١) مريم : ٢٥ . (٢) الأطعمة القرآنية . (٣) المصدر السابق.
(٤) العلاج بالتمر والرطب د . نبيل على عبد السلام .
(٥) الأطعمة القرآنية .

- « البلح مفيد فى تقوية العضلات المعوية ، ويساعد فى حالات الإمساك لما يحتويه من الألياف ، التى تعمل على تنبيه حركة الأمعاء » [1] .

- « للتمر تأثير مهدىء للأعصاب ، وذلك بتأثيره على الغدة الدرقية ، ولذلك ينصح الأطباء ، بإعطاء الأطفال ، والكبار ، من العصبيين ثمرات من التمر فى الصباح من أجل حالة نفسية الطفل » [2] .

- « منقوع البلح مدر للبول وملين » [3].

- « التمر غنى بالأملاح المعدنية القلوية مثل أملاح الكالسيوم ، والبوتاسيوم فهو خير ما يؤكل لمعادلة حموضة المعدة ، وكذلك لأنه يخلف رمادًا قلويا بعد هضمه ، وتمثيله ، فإنه يعادل الحموضة التى تتولد من أكل البروتينات المركزة مثل السمك والبيض » (٤)٠

إن الطب الحديث بجميع إمكاناته ، وقدراته الفائقة ، واكتشافاته المتعددة فى مجالات الدواء ، والعلاج ، وعلم الوقاية ، لم يكن إلا شارحًا ومفصلا لما أجمله الطب القرآنى والنبوى ، ولا سيما فى مجال الأطعمة والأشربة غذاء ودواء ٠ وهذا دليل وبرهان ساطع ، على أن الإعجاز القرآنى والسنة النبوية ، لم يكن مقتصرا على الإعجاز البيانى ،والبلاغى، وإنما شمل الإعجاز الطبى ، والدوائى ٠ وصدق الله العظيم الذى قال : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ ﴾ .

* * *

---

(١) الأطعمة القرآنية ٠

(٢) المصدر السابق ٠

(٣) المصدر السابق ٠

(٤) المصدر السابق ٠

المبحث الثالث

فى المـــاء

﴿ وأَنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾[1] .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الماء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾[2] ، ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاءٍ فَمِنهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِه ، وَمِنهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3] ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾[4] .

إن الماء مصدر حياة لكل كائن حى ، إنسانا ، أو حيوانا ، أو نباتا وقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة العلمية ، وكما أن الماء مصدر للحياة · فهو أيضا وسيلة للعلاج من بعض الأمراض كالحمـــى مثلا · فقد قال ﷺ : « الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء » وفى صحيح البخارى « أن أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنهما كانت إذا أتيت بالمرأة قد حمت تدعو لها · فأخذت الماء فصبته بينها ، وبين جيبها وقالت : كان رسـول الله ﷺ يأمرنا أن نبردها بالماء »[5] وموطن الإعجاز الطبى الذى تناوله الحديثان النبويان هو إشارتهما إلي فاعلية الماء كعلاج ومهبط لحرارة الجسم · إلا أن الحديث الثانى تكفل بشرح الكيفية الصحيحة لاستخدام الماء · هذه الكيفية التى تنحصر فى صب الماء فى مواضع خاصة من جسم المريض : فشمول الماء لجسم المحموم كله ، ربما يضر صحيا وذلك بإصابته ببعض نزلات البرد المعروفة ·

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢ ·
(٢) سورة الأنبياء : الآية ٣٠ ·
(٣) سورة النور : الآية ٤٥ ·
(٤) سورة ق : الآية ٩ ·
(٥) فتح البارى ·

وقد تعرض الإمام ابن حجر العسقلانى رحمه الله ، لهذا المغزى الطبى المستنبط من حديث أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنهما فقال : « وأولى ما يحمل عليه كيفية تبريد الحمى ، ما صنعته أسماء بنت الصديق ، فإنها كانت ترش على بدن المحموم شيئًا من الماء بين يديه وثوبه، فيكون ذلك من باب النشرة المأذون فيها . والصحابى ولا سيما مثل أسماء التى هى ممن كان يلازم بيت النبى ﷺ أعلم بالمراد من غيرها »[1] .

إن الرسول ﷺ الرءوف الرحيم بالمؤمنين ، كما وصف بذلك فى الكتاب الحق المبين ، والذى بعث ليخرج الناس من الظلمات إلى النور . اقتضى حرصه على أمته ، ورأفته ورحمته بهم ، أن يعلم هذه الأمة الكتاب والحكمة ، ويزكيهم مبينا للعالمين صراط الله القويم الذى يهدى إلى الفوز والفلاح فى الدنيا والآخرة . ولم يكتف الرسول الكريم عند هذا وحسب ، بل كان مهموما بالصحة البدنية والنفسية للمسلمين كافة ، واصفا لهم الدواء الناجع لشكاواهم المرضية مع الكيفية والطريقة السليمة لاستخدام ما يصف لهم من دواء النبوة . وهذه مواصفات وخصائص الطبيب الخبير الناصح الأمين . الذى يريد لمريضه المعافاة ، والسلامة من كل داء .

ولا نريد أن ندخل فى جدل أجوف ، لا طائل ولا جدوى من ورائه وهل كان الرسول عليه الصلاة والسلام ، كان طبيبا أو لم يكن وهل ما جاء فى الطب النبوى ، من وصفات علاجية لبعض الأمراض جزء من الطب بمعناه المعروف ؟ .

بل الذى نؤمن به إيمانا أن الرسول محمد ﷺ إنما بعث لإقامة دولة التوحيد ، ومحاربة الشرك والوثنية والضلالة بجميع أشكالها ، ومسمياتها ، الظاهر منها والخفى خفاء دبيب النمل .

---

(١) شرح فتح البارى جـ ١ .

نعم بعث الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ظلم الشرك إلى عدل الإسلام .

أما حجية الطب القرآنى والنبوى ، ودلالة إعجازهما ، فلا أقول إن الطب الحديث باكتشافاته ، وانتصاراته الباهرة ، أقر وشهد بهذه الحجية ، وذلك الاعجاز للكتاب والسنة ، وإنما أقول مؤكدا - كما قلت وأكدت ذلك من قبل فى ثنايا هذا الكتاب - نقول يكفى الطب الحديث هذا شرفا وعزة ومكانة ايمانه - بعد التجارب العلمية العديدة - بالمعجزة الطبية للقرآن والسنة النبوية ، فمن الذين آمنوا وأكدوا فاعلية وجدوى الطب النبوى الطبيب الفرنسى سان جورجيوذ ريلانو الذى قال : « لقد دحضت الروايات التى نقلت عن الطب النبوى ، ودحضت زعم القائلين بأن النواحى الصحية مهملة فى الإسلام ، وثبت أن تعاليم الإسلام صحية ودينيه فى آن واحد » [١] ثم يقول « وفى كل حال ، آن الأمر الذى لا شك فيه ، هو أن الرسول كان واسع الاطلاع فى الطب ، وأن المعالجة والصحة كانتا من الموضوعات الرئيسية التى عالجها النبى الأمين ، حتى يصح أن يقال فيه إنه لم يكن أول طبيب فى الإسلام فحسب ، بل أيضًا أول من وضع كتابا ممتازًا فى الطب سمى بالطب النبوى [٢] .

* * *

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى فى كتابه « الطب النبوى » (ماء زمزم سيد المياه ، وأشرفها ، وأجلها قدرا ، وأحبها إلى النفوس ، وأغلاها ثمنا وأنفسها عند الناس » وثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال لأبى ذر - وقد أقام بين الكعبة ، وأستارها أربعين ما بين يوم وليلة ، وليس له طعام غيره ، فقال النبى ﷺ : « أنها طعام طعم » ، وزاد « غير مسلم » بإسناده « وشفاء سقم » .

ولا شك أن ماء زمزم من المياه الحبيبة إلى قلب كل مسلم ، ولا سيما إذا

---

(١) الوجيز فى الطب الإسلامى . (٢) المصدر السابق .

كان حاجا ، فمن سنن الحج ، شرب ماء زمزم · بعد الطواف وركعتى الطواف ، ثم الدعاء ، ففى حديث آخر « ماء زمزم ، لما شرب له » صدق رسول الله ﷺ ، نعم فقد عشت تجربة ذاتية أثناء تأديتى لفريضة الحج · فقد كنت أشكو من علة فى أمعائى · وعلى الفور تذكرت الحديث السابق ذكره ، فشربت من ماء زمزم ناويا زوال ما أشكو منه · وبمشيئة الله تعالى وفضله برئت فور شربة من سيد المياه ·

وهناك بعض المياه التى لها خاصية علاجية لبعض الأمراض مثل « مياه عيون حلوان المعدنية التى تفيد فى علاج كثير من الأمراض ، منها زيادة الحموضة فى المعدة ، والإسهال المزمن ، وعسر الهضم ، والتهاب القولون المزمن ، كما تساعد على إفراز عصارة المرارة ، أما المياه المعدنية المعدة للاستحمام فبعضها يحتوى على ثانى أوكسيد الكربون ، ويفيد فى علاج تصلب الشرايين وفى تحسين الدورة الدموية ، وبعضها يحتوى على كبريت ، ويفيد فى علاج الروماتيزم والنقرس المزمن ، والتهاب العظام المزمن · وبعض الأمراض الجلدية وأمراض الحساسية ، وبعض أمراض الجهاز التنفسى » [1] .

* * *

(١) الغذاء والتغذية د· محمد ممتاز الجندى ·

المبحث الرابع

فى الألبـــــان

قال تعالى فى كتابه الحكيم: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ (١) وقال عز وجــل : ﴿ مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ﴾ (٢) .

وفى الصحيحين « أن رســول الله ﷺ أتى ليلة الإسراء بقدح من خمر ، وقدح من لبن ، فنظر إليهما ، ثم أخذ اللبن ، فقال جبريل عليه السلام: « الحمد لله الذى هداك إلى الفطرة ، لو أخذت الخمر غوت أمتك» .

والمعجزة الطبية للقرآن واضحة جلية فيما نشاهده ونلمسه من إشارة علمية ، وملحظ غذائى ، وشرط صحى من شـــروط فاعلية اللبن كغذاء ناجع . وردت هذه الإشارة فى قوله تعالى فى معرض وصف الأنهار من اللبن كطعام لأصحاب الجنة ﴿ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ﴾ وكنه هذه المعجزة القرآنية هو أن القرآن العظيم علمنا - منذ أربعة عشر قرنا - أن اللبن الصالح للشرب النافع للإنسان صحيا ، هو اللبن الحافظ لطعمه .

ونستطيع أن نقول إن اللبن الذى لم يتغير طعمه يعتبر تعريفا قرآنيا للبن الجيد ، السائغ للشاربين ، وفى هذا التعريف القرآنى للبن يكمن المعجزة الطبية والغذائية ، لهذا الكتاب الحكيم الذى لا ريب فيه . وقد تعلم « العلم » الحديث من علم القرآن المنزل منذ قرون طويلة .

---

(١) سورة النحل آية : ٦٦ . (٢) سورة محمد : آية ١٥ .

فقد أكد علماء التغذية المعاصرون « أن اللبن فى حالة تغير طعمه ، يكون غير صالح ، لأن تغير طعم اللبن ، ينشأ من عاملين :

١ - بسبب تغذية الحيوان على النفايات التالفة ، أو نتيجة نمو بعض الميكروبات ·

٢ - إذا كانت الحيوانات مسنة أو أصابت ضروعها الالتهابات » [١] ·

أما معجزة السنة النبوية فى بيان القيمة الغذائية للألبان فنراها فى قوله عليه الصلاة والسلام « من سقاه الله لبنا ، فليقل : اللهم بارك لنا فيه ، وزدنا منه ، فإنى لا أعلم ما يجزىء من الطعام والشراب غيره » [٢] أى أن اللبن يغنى عن كثير من الأطعمة والأشربة ، فمن الثابت علميا أن لا يغنى طعام أو شراب عن آخر ، فطعام الإنسان ينبغى أن يتضمن العناصر الغذائية المختلفة ، ولا يكفى عنصر واحد من الطعام ، ولا يعنى قولنا هذا دعوة إلى الإسراف المنهى عنه · فقول الرسول ﷺ (فإنى لا أعلم ما يجزئ من الطعام والشراب غيره » إنما يعنى حقيقة علمية مؤكدة ، لا أقول أثبتها العلم الحديث بوسائله العديدة ، إنما أقول قد استشهد بها هذا العلم الذى ولد بعد قرون وقرون ، من البعثة النبوية ·

فماذا قال العلم الحديث ؟ قال إنه ثبت أن الإنسان يستطيع الحياة أسابيع ، إذا اقتصر طعامه على اللبن فقط ، لماذا ، لأن اللبن يحتوى على :

١ - « المواد البروتينية التى تمد الإنسان بالأحماض الأمينية الأساسية لتكوين الأنسجة العقلية ، وبناء خلايا الجسم المختلفة ، لذلك فهى فى غاية الأهمية للأطفال النشء فى دور النمو ، وكذلك البالغون فى دور النقاهة ·

٢ - المواد الدهنية توجد فى صورة ذائبة وسهلة الهضم ، وبالقدر الذى يحتاجه الإنسان لاستغلال السعرات الحرارية الناتجة منها فى نشاطه اليومى ·

---

(١) الأطعمة القرآنية · (٢) الطب النبوى ·

٣ - سكر اللبن (سكر اللاكتوز هو سكر ثنائي مكون من جلوكوز ، وجلاكتور ، وحلاوته تعادل $\frac{١}{٦}$ حلاوة السكروز » .

٤ - الفيتامينات الموجودة باللبن مثل فيتامين أ (A) ويوجد فى صورة ذائبة بالمواد الدهنية ، وهو مهم جدا فى عملية النمو للأطفال والمراهقين ، كما أنه يعتبر العنصر الأساسى المسئول عن تكوين مستقبلات الضوء في شبكية العين (cohs) (Rods) التى عن طريقها تتم عملية الإبصار ، وبذلك فإن نقص هذا الفيتامين يسبب عدم القدرة على الإبصار ، وخاصة فى الضوء القليل كالليل مثلا ، وهذا ما يسمى بالعشـــى الليلى » [١] وإذا كان اللبن الذى لم يتغير طعمه ، هو التعريف القرآنى للبن المتوافر فيه شروط الغذاء الجيد - كما أسلفنا القول - فما هى العوامل التى تؤدى إلى تغير طعم اللبن ؟

العلماء الذين اتقوا الله تعالى فعلمهم الله عز وجل ، العلماء الذين استفادوا واستضاءوا بالنور الذى أنزل مع سيدنا محمد ﷺ قد فطنوا وأدركوا أسباب تغير طعم اللبن فقالوا (. . . وأجوده - أى اللبن - ما اشتد بياضه ، وطاب ريحه ، وحلب من حيوان فتى ، صحيح ، معتدل اللحم ، محمود المرعى والشراب » [٢] فعدم توافر هذه الشروط فى اللبن حقيق بتغير طعمه .

وإذا كان الحديث عن اللبن مازال موصولا ، فما هو أفضل أنواع الألبان هل هو لبن الغنم ، أم لبن الماعز ؟ أم لبن البقر ؟ إذا خالفنا منهجنا فى هذا الكتاب منهجنا المبنى على عرض الطب القرآنى والنبوى أولا ، فعرضنا موقف الطب الحديث أولا فماذا نجد فى جعبة هذا الطب من إجابة على سؤالنا السابق؟

لقد أكد الطب الحديث أن أجود أنواع الألبان هو لبن البقر ، وذلك

---

(١) بتصرف من الأطعمة القرانية . (٢) الطب النبوى .

لأسباب غذائية وأخرى طبية بسوقها طب التجارب العلمية ، وسوف نكتفى برأى طبيب واحد هو الدكتور صبرى القبانى ، فى مؤلفه الذى يتميز بالجودة والموضوعية والموسوعية أيضًا يقول « ... وأكثر أنواع الحليب شيوعا ، وأقلها تكلفة وأسهلها مراقبة ، من جميع النواحى ، هو حليب البقر - بعد حليب المرأة طبعا - وحليب البقر يستحق أن يدرس بعناية لإيفائه حقه كاملا :

يتركب حليب البقر كما يلى : -

سكر	١٣ر٤	بالمائة جرام
دهن	١٦ر٣	بالمائة جرام
مواد شبة زلالية	٣١٤	بالمائة جرام
كلس	١٢٥	جلجم
حديد	١ر٠	ملجم
سيوديوم	٢٥٠	ملجم
فيتامين أ	٢٥٠	ملحم
فيتامين ب	٥٠	ملجم
فيتامين ث	٢٠	ملجم

« زد على ذلك أن حليب البقر يحتوى دائماً على ٣٠ ر مللجرام من طليعة الجزرين أو طليعة الفتيامين (أ) ١٦ ر مللجرام من فيتامين (ب٢) المدعم بالفيتامين (ب) و ٢٨ ر مللجرام ثم أضاف الدكتور القبانى « إن المثل الشائع « اشرب الحليب فهو ينبوع من الكلس لا ينضب » يستند إلى حقيقة علمية متينة ، إذ أن حليب البقر يحتوى على ٢٥ » مللجراما من الكالسيوم فى كل مائة جرام » (١) .

(١) الغذاء لا الدواء صـ٣٥٥ - صـ٣٥٦ منشورات دار العلم للملايين- بيروت .

هذا ما قاله العلم المعاصر ، بعد المجهودات المكثفة ، فى مجالات الأغذية والأطعمة وقد قلنا أكثر من مرة خلال هذا الكتاب ، أن أحداً كائنا من كان لا يستطيع ولا يمكنه أن ينكر أو يهون ما قدمه العلم الحديث فى جميع ميادين الحياة وفروعها للإنسانية من خدمات ، وإنجازات جبارة تستحق الثناء والاشادة والتحية الصادقة .

كذلك فإن البحث الموضعى المحايد يلزمنا ، ويلزم كل منصف يتغيا الحقيقة المجردة ، بالإقرار - بعد الاقتناع - والاعتراف بفضل الطب القرآنى والنبوى لما قدماه للبشرية من علم وتوجيهات طبية كانت للإنسانية نجوما ساطعة فى الليل البهيم .

فإن الرسول ﷺ قبل معاهد التغذية بأربعة عشر قرنا أكد أن لبن البقر أجود أنواع الألبان ، معللا بعلة غذائية . هى أن البقر تتنوع فى غذائها ، أى تأكل من أشجار متعددة « عليكم بألبان البقر فإنها ترتم [1] من كل الشجر » [2] فيكون غذاؤها متعددا يجمع العناصر الغذائية لذلك يكون إنتاجها من اللبن محتويا لهذه العناصر الجيدة . وبالتالى يكون لبنها من أفضل الألبان . وهذا ما ينصح به الطب النبوى ، والطب الحديث ، ينصحان الإنسان أن يكون طعامه مكوناً لجميع العناصر الغذائية من حديد ، وبروتينات ودهنيات وسكريات وغيرها .

والمعجزة النبوية فى علم الغذاء ، وفى تعليل الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، بالنسبة للبن البقر ، وجودته ، وأفضليته على الألبان الأخرى أن المعجزة النبوية هذه مقتدية بمعجزة علمية أخرى وردت فى القرآن الكريم فالقرآن الكريم عندما أعلن للناس أن عسل النحل فيه شفاء للناس أعلن فى الوقت نفسه أن الله عز وجل أوحي إلى النحل بأن تتخذ من الجبال بيوتا ، ثم

---

(١) تأكل .　　　(٢) الطب النبوى .

تأكل من كل الثمرات : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهِ شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ ، إن الله عز وجل العليم الخبير ألهم النحل أن يأكل من جميع الثمرات المحتوية لجميع العناصر الغذائية الجيدة ، فلم يقتصر النحل فى غذائه ، على لون واحد من الأغذية وإنما كان غذاؤه - بالإلهام الإلهى - متكاملاً بمفهوم علم الغذاء الحديث ، فكان إنتاجه من العسل شفاء للناس .

كما أن النبى ﷺ علل جودة لبن البقر بتعدد واختلاف غذائها فقال عليه الصلاة والسلام : فإنها ترتم أى تتغذى من كل الشجر فلذلك كان انتاجها من اللبن أجود أنواع الألبان .

ولا نزعم أن شفائية العسل ، وجودة لبن البقر مبعثهما الغذاء المتعدد وحده . وإنما نريد بيان موضع الإعجاز الطبى فى الكتاب والسنة اللذين كان لهما الأسبقية فى إشارتها الواضحة إلى أهمية وجدوى الطعام المكتمل لعناصر الغذاء المختلفة .

* * *

الفصل الثانى

ملامح الإعجاز الطبى
فى الوقاية من الأمراض

- المبحث الأول : الاعتدال في تناول الملذات
- المبحث الثانى : فى المحرمات من الأطعمة والمشروبات
- المبحث الثالث : وسائل إيجابية فى الوقاية من الأمراض

المبحث الأول

الاعتدال فى تناول الملذات

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١) .

وقال عز وجل: ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلاَ تَطْغَوْا فِيهِ ﴾(٢) .

من معجزات القرآن والسنة النبوية ، العمل على منع المرض قبل وقوعه لأن معافاة جسم الإنسان ، والحرص على سلامته ، من كل داء من أهم تعاليم الإسلام الحنيف . وهذا هو المعروف فى الطب الحديث بالوقاية ، أو الطب الوقائى . وقد أطلق عليها قديما (الحمية) بمعنى حماية الإنسان مما قد يصيبه من علل وأمراض تعوقه ، أو تقعده عن العمل والانتاج فى شتى المجالات .

والإسلام دين يدعو إلى العمل ، والابتكار ، والإبداع : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ والمؤْمِنُونَ ﴾ .

ومن الإبجديات الأولى للصحة الوقائية ، عدم الإسراف فى الطعام والشراب فالآية الكريمة السابقة صريحة فى الدلالة على النهى عن الإسراف ، فى المأكل والمشرب ؛ لأنه عز وجل لا يحب المسرف على وجه الإطلاق فى أى شأن من شئون النشاط الإنسانى . دينيا كان أو دنيويا .

وهذا هو سيد الخلق والمرسلين، الحريص الرءوف بأمته يصف المؤمن بأنه عفيف النفس قنوع ، إذا أكل ليس بالشره ولا بالجشع، فيقول فى حديث رواه عبيد الله عن نافع عن ابن عمر ﷺ قال رسول الله ﷺ : «إن المؤمن يأكل

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٣١ .   (٢) سورة طه : الآية ٨١ .

فى معى واحد وأن الكافر أو المنافق - فلا أدرى أيهما قال عبيد الله - يأكل فى سبعة أمعاء » [1] كما يقول عليه الصلاة والسلام « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان ولابد فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وإسناده صحيح .

والإسراف أو التبذير بمعنى مجاوزة الحد الشرعى مرفوض ، وممنوع إسلامياً فالظلم بجميع صوره ، وأشكاله ، وفى أى عصر من العصور تجاوز وتعد واختراق لحدود الله عز وجل . ولذلك حاربه الإسلام . وطالب بالتصدى له . ودحر نحوره ، فماذا قال القرآن الكريم عن فرعون النموذج ، والمثال للحاكم الطاغية الذى تجسد فيه جبروت الحكم المستبد ، قال فيه عز وجل ﴿ وإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ ، وَإِنَّه لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ [2] ﴾ وقال سبحانه فى شأن كل مسرف : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [3] ، ﴿ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ [4] .

هذا هو بعض مواقف الإسلام من الإسراف والتبذير على العموم والإطلاق ، والإسراف فى الطعام والشراب جزء من موقف إسلامى عام .

وقد جاء الطب الحديث بعد قرون عديدة ، من التنزيل الربانى ، ولم يكن أمام هذا الطب الوليد إلا أن يستفيد مما قرره ، وأثبتته المعجزة الطبية فى الإسلام . فشرح لنا الطب الحديث ، بوسائله المتعددة ، وإمكاناته المتوافرة واكتشافاته الجديدة فى مجالات المرض والدواء وطب الغذاء . شرح لنا أضرار الإسراف فى الطعام والشراب صحياً وطبياً . فمما قاله هذا الطب « إن الإكثار من الطعام يصيب المعدة بالإرهاق ، والكسل عن الهضم ، وتخمر

---

(١) فتح البارى .
(٢) سورة يونس : الآية ٨٣ .
(٣) سورة غافر : الآية ٢٨ .
(٤) سورة غافر : الآية ٤٣ .

الأغذية ، وقد يحدث القرحة ، والالتهابات ، فى المعـدة والمرىء ، والإثنى عشر ، وكثيراً ما تتمدد المعدة بسبب زيادة الطعام ، وتحدث فيها جيوب خارجية يترسب فيها الطعام الزائد ، ويتعفن · وتحدث هذه الأمراض كلها عن الأكل الزائد » [1] .

ومن الأمراض - التى يسببها الإسراف فى الطعام « التهاب البنكرياس الحاد المزمن - تصلب الشرايين نتيجة الدهنيات بكثرة - داء النقرس الناتج عن تناول اللحوم · والخضراوات بكثرة - ارتفاع ضغط الدم · خاصة عند الإكثار من تناول الأملاح - داء السكر · ويحدث عند تناول السكريات بكثرة خصوصاً عند الأشخاص المصابين بالسمنة » [2] والإسراف فى الأكل لا تقتصر مضاره على صحة الإنسان الجسمية والعضوية وإنما تمتد هذه المضار إلى صحة الإنسان النفسية ، فتتولد عن الإسراف فى الأكل التخـــمة ، والكسل والخمول · فها هو الإمام الجليل ابن القيم يقول مفنداً مضار الإسراف فى الأكل « فإنه - أى الإسراف فى الأكل - يثقله - أى القلب - من الطاعات ويشغله بمزاولة مؤنة البطنة ، ومجادلتها حتى يظفر بها · فإذا ظفر بها شغله بمزاولة تصرفها · ووقاية ضررها والتأذى بثقلها · وقوى عليها مواد الشهوة ، وطرق مجارى الشيطان ووسعها · ثم يقول « ومن أكل كثيراً · شرب كثيراً · فنام كثيراً · فخسر كثيراً » [3] .

* * *

(١) الوجيز فى الطب الحديث ·
(٢) القرآن والطب الحديث ·
(٣) مدارج السالكين جـ ١ ·

المبحث الثانى

فى المحرمات من الأطعمة والمشروبات

(أ) تحريم لحم الخنزير :

لقد كان تحريم الخنزير ، حفاظاً على صحة الإنسان وحماية لها من كثير من الأمراض والعلل ، فهذا التحريم مثل تحريم الميتة والدم - كما سيأتى ·

ولكن بعض المفتونين بمنجزات الحضارة الغربية ، والمبهورين ببريق مدنية أوربا وأمريكا ، ربما لا يستسيغون تحريم لحم الخنزير والخمور ، لأنهم يرون فى الغرب وأمريكا ، قد أباحوا كل شىء ، وهم - كما هم - المثال والنموذج فى التقدم ، والازدهار ، والتفوق ، فى جميع أنماط الحياة ، اقتصادياً ، وعسكرياً وأجتماعياً ، وتكنولوجياً ، وعلمياً ، وثقافياً ، وصحياً ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن الشعوب الأخرى ترزخ فى آثار التخلف والفقر والجهل ، فلم تمنع استباحة المحرمات الغرب وأمريكا من التقدم ، والثراء ولم يمنع اجتناب المحرمات العرب والمسلمين تخلفهم عن ركب التقدم ، ولم يكن هذا الاجتناب سبباً فى اللحاق بالأمم التى خطت خطوات واسعة فى التفوق فى جميع مجالات الحياة على من سواهم من الأمم المتخلفة ·

ولكى نجيب هؤلاء وأمثالهم من الذين فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً - علينا أن نحاول تقويم الحضارة الغربية · تقويماً موضوعياً لا يعزف الانحيار - أو التعصب ·

لا يختلف اثنان على أن الحضارة الغربية أفادت الإنسانية ، ومنحتها كثيراً من المزايا المادية ، التى كان يفتقدها الإنسان فى العصور الماضية وهذه المزايا

المادية ربما تكون واضحة وجلية فيما وفرته علوم العصر الحديث فى مجالات التنقل ، والمواصلات ، والفضاء · وثورة الاتصـــالات بجميع أشكالها ، وأنواعها · وبرامج الكمبيوتر · والثورة العلمية فى ميادين الطب ، والهندسة المدنية ، والعسكرية ، والهندسة الوراثية وعلم البحار وغيرها من الفنون التى يسرت حياة الإنسان · وأمكن للإنسان أن يعبر القارات والمحيطات دون ما يلقى عناء جسديا ولا شقاء بدنيا · نعم إن المدنية الغربية أعطت للإنسان راحة بدنه ، ولكنها أى هذه الحضارة سلبت روح الإنسان ، ووجدانه ومشاعره · فصار هذا الإنسان المسكين كالآلة أو الماكينة الصماء ·

وقد كان من الطبيعى - فى ظل هذه الحضارة المادية - تجريد الإنسان من روحه وتفريغه منها ، لأن الحضـارة الغربية أسيرة للأفكار الشيطانية لتشارلزداروِن ، وسيجموند فرويد ، وكارل ماركس ·

فهؤلاء الثلاثة تدنوا بالإنسان وامتهنوه ، فالأول ادعى تطور أصل الإنسان ونشوءه من الحيوان ·

والثانى : أرجع سلوك الإنسان ودوافعه إلى الغريزة الجنسية ، فهذه الغريزة - فى نظر فرويد - هى المسئولة الأولى عن كل ما يصدر من الإنسان من سلوكيات ، وبلغ بفرويد السفه والتهور إلى أن يفسر امتصاص الطفل الرضيع أصبعه برغبة الطفل فى الإشباع والارتواء الجنسى ·

والثالث : وهو كارل ماركس - بلغ من احتقاره للبشر أن جعله ترسا فى دولاب إنتاج المصنع - متجاهلا الإنســان كمشاعر ونفحة من روح خالقه سبحانه ·

هؤلاء الثلاثة هم الذين شقيت بهم الحضارة الغربية ، وبمقولاتهم واختراعاتهم المجنونة التى حولت الإنسان - من كائن كرمه الله تعالي لكى يعمر الأرض بعبادته ، ويزرع السلام ، ويبنى الحياة بالعدل والتراحم والمودة ، ولا يد مرها بالحروب ، والقتل والتخريب إلى كائن يعبد القيم المادية وللاستهلاكية ولا يؤمن إلا بما تدركه الحواس الخمس ، ويعيش فريسة لغرائزه وشهواته الحيوانية أسيرا لأنانيته وأحقاده ·

وحضارة قوامها حيوانية الإنسان تطورا - كما يدعى دارون - أو غريز يا كما يقول فرويد - أو ترسا فى آلة - كما يريده ماركس . حضارة بمثل هذه المواصفات لا بد أن تفرز مزيداً من إراقة دماء البشر . « فى حــربين عالميتين و ٣٠ حرباً أهلية » ، وقتل ٣٣ مليون شاب فى سبيل الحروب القومية والنظرية (قتل ٨ ملايين جندى فى الحرب العالميــة الأولى ، قتل ١٣ مليون شاب مدنى ، ١٩ مليون جندى فى الحرب العالمية الثانية ، وقتل ١٥ مليون صينى فى الحرب اليابانية الصينية) .

« قتل ستالين رميا بالرصاص ٢٥ ألف ضابط ومدنى بولندى بقرار خطه بيده يوم ١٣ مارس ١٩٤٠ » (١) .

ولقد كان الدكتور الكسيس كاريل الذى عاش فى منتصف القرن العشرين صادقاً حين كشف مساوىء وسلبيات الحضارة الغربية فى كتابه « الإنسان ذلك المجهول » نعم كان الرجل صادقاً لأنه « شخص » هذه الحضارة بعين الطبيب والعالم المثقف المحايد غير المنحاز إلا للحقيقة العلمية المجردة من أهواء التعصب والانحياز .

فالدكتور كاريل العالم والطبيب الحائز على إجازة الطب . والذى مارس التدريس فى جامعة ليون بفرنسا ، واشتغل فى معهد رو كفلر للأبحاث العلمية بنيويورك والحائز على جائزة نوبل لأبحاثه الطبية عام ١٩١٢ م . الدكتور كاريل لم يفتتن ولم يغتر بالحضارة الغربية مثل غيره من الذين يعتقدون كل ما يلمع ذهبا . وإنما فرز هذا البحاثة مبيناً ماهية هذه الحضارة قائلاً : « إن الحضارة العصرية تجد نفسها فى موقف صعب ، لأنها لا تلائمنا ، لقد أنشئت دون آية معرفة بطبيعتنا الحقيقيــة إذ أنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية . وشهوات الناس، وأوهامهم ونظرياتهم ، ورغباتهم ، وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا، إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا » (٢) .

---

(١) من كتاب « الشيوعية أكبر فشل إنسانى فى التاريخ » تأليف زيجنيوبريجنسكى مستشار الأمن القومى السابق لأمريكا (وهذه الفقرة نشرت مترجمة بجريدة الأهرام) .

(٢) ترجمة : شفيق أسعد فريد .

والذين يخترعون نظريات ومبادىء وافكارا ، معتقدين أنها تخرج الإنسانية من الظلمات إلى النور ، أو هذه الأفكار وتلك النظريات كفيلة بصنع الخير والسعادة للبشرية ، هؤلاء المخترعون – إذا ظنوا ذلك · واهمون وغارقون فى خيالاتهم التى لا تسمن ولا تغنى من جوع ·

« وهؤلاء النظريون ، يبنون حضـارات ، بالرغم من أنها رسمت لتحقيق ، خير الإنسان إلا أنها تلائم فقط صـورة غير كاملة ، أو مهولة للإنسان · إن نظم الحكومات التى أنشأها أصحاب المذاهب فى عقولهم عديمة القيمة ، فمبادىء الثورة الفرنسية ، وخيالات ماركس ولينين تنطبق فقط على الرجال الجامدين (غير الأحياء أو المتحركين) فيجب أن نفهم بوضوح أن قوانين العلاقات البشرية ، مازالت غير معروفة ، فإن علوم الاجتماع ، والاقتصاديات علوم تخمينية افتراضية » [١] ·

وقد بنيت الحضارة الغربية على الأسس المادية التى تؤمن بكل محسوس فقط ، لأن هذه الحضارة نتيجة أيضاً للعلم التجريبى ، ومن ثم نحّت هذه الحضارة ، القيم الأخلاقية أو الإنسانية جانبا ، وألقتها وراء ظهرها ، « يكاد المجتمع الحديث أن يهمل الاحساس الأدبى إهمالاً تاماً ، بل لقد كبتنا مظاهره فعلاً ، · · فقد أشربنا جميعا الرغبة فى التخلص من المسئولية أما أولئك الذين يميزون الخير من الشر ، ويعملون ، ويتحفظون ، فإنهم يظلون فقراء وينظر إليهم بضيق ، وتأفف ، والمرأة التى أنجبت عدة أطفال ، وأوقفت نفسها على تعليمهم · بدلا من الاهتمام الخاص بنفسها تعتبر ضعيفة العقل وإذا أدخر رجل بعض المال لزوجته ، وتعليم أولاده ، سرق منه هذا المبلغ بواسطة الماليين أصحاب المشروعات ، أو أخذته الحكومة » [٢] ·

من مساوىء الحضارة المادية أيضاً · اختفاء الأسرة وطابعها · بعد أن

---

(١) المصدر السابق ·   (٢) المصدر السابق ·

كانت ضحية لخروج المرأة إلى ميدان العمل ، تلبية لمطالب الحياة الحديثة ·
وكان ذلك لزاماً على الأم أن تترك أطفالها فى دور الحضانة ، ويحدثنا الدكتور
كاريل عن سلبيات هذا الجانب الاجتماعى فيقول : « لقد ارتكب المجتمع
العصرى غلطة جسيمة ، باستبداله تدريب الأسرة بالمدرسة ، استبدالا تاماً ،
ولهذا تترك الأمهات أطفالهن لدور الحضانة · حتى يستطعن الانصراف إلى
أعمالهن · أو مطامعهن الاجتماعية أو مباذلهن ، أو هواياتهن الأدبية ، أو
الفنية · أو للعب البريدج ، أو ارتياد دور السينما · وهكذا يضيعن أوقاتهن فى
الكسل ، إنهن مسئولات عن اختفاء وحدة الأسرة ، واجتماعاتها التى يتصل
فيها الطفل بالكبار ، فيتعلم منهم أموراً كثيرة · إن الكلاب الصغيرة التى تنشأ
مع أخرى من نفس عمرها فى حظيرة واحدة · لا تنمو نمواً كاملا · كالكلاب
الحرة التى تستطيع أن تمضى فى أثر والديها · والحال كذلك بالنسبة للأطفال
الذين يعيشون وسط جمهرة من الأطفال الآخرين · وأولئك الذين يعيشون
بصحبة راشدين أذكياء · لأن الطفل يشكل نشاطه الفسيولوجى · والعقلى ،
والعاطفى · طبقاً للقوالب الموجودة فى محيطه إذ أنه لا يتعلم إلا قليلاً عن
الأطفال الذين فى سنه وحينما يكون مجرد وحدة فى المدرسة فإنه يظل غير
مكتمل ، ولكى يبلغ الفرد قوته الكاملة ، فإنه يحتاج إلى عزلة نسبية واهتمام
جماعة اجتماعية محددة تتكون من الأسرة » [(١)] والمجتمعات الغربية التى
استحلت لحم الخنزير وتعيش فى رفاهية من العيش مادية · وفى مجتمع الوفرة
والرخاء ، والتقدم الصناعى · هذه المجتمعات بقدر ما تتمتع بالنعيم المادى فإنها
تعانى من الآلام النفسية أو العصبية « فقد بلغت حوادث الانتحار فى السويد ،
والنرويج - وهما من دول الرفاهية - ٢٠ فى كل ١٠٠ ألف ، وفى أمريكا
١٩ وفى انجلترا وفرنسا ١٨ ، أما فى العالم الغربى ، فلا تزيد النسبة على ٢
كل ١٠٠ ألف « إحصائية دولية » [(٢)] وإذا تحدثنا عن مضار لحم الخنزير على

(١) المصدر السابق ·

(٢) الطب الوقائى فى الإسلام · د · احمد شوقى الفنجرى ·

صحة الإنسان البدنية ، والنفسية فنقول من المعروف - علمياً - أن الخنزير يصاب بأنواع من الديدان . منها :

دودة التنيا ، والدودة الشريطية ، وقد يزعم بعض المتفلسفين من عشاق الثقافة الغربية ، أن الدودة الشريطية موجودة فى لحم البقر أيضاً . ونقول لهؤلاء القوم : إن الدودة الشريطية فى لحم البقر إذا وصلت إلى الأمعاء ، أضرارها محدودة ، تزول بأدوية ، أما دودة الخنزير فلا تقتصر بوجودها فى أمعاء الإنسان « بل تكمل دورتها فى جسم نفس الشخص المريض وفى جسم أى إنسان آخر . إذ تخرج الأجنة اليرقات من البيض ، وتخترق جدار الأمعاء إلى الدورة الدموية ، وتتوزع على الأجهزة الحيوية للجسم حيث تتحوصل اليرقة فى غلاف سـميك الجدار، وقد تصل إلى حجم حبة الفول (٢سم تقريباً)ومما يزيد خطورتها أنها تفصل التحوصل فى الجهاز العصبى» (١) .

المدافعون عن لحم الخنزير لا يلقون أسلحتهم ، فربما شهيتهم لهذا اللحم المحرم أذهبت عقولهم ، فقد انبروا للدفاع قائلين : إن وسائل الطهو الحديثة والجيدة التى تمتاز بالحرارة المرتفعة ، قادرة على قتل الدودة الشريطية ، وحينئذ فلا وجه للتحريم . ولكن الطب الحديث الذى يقدسونه ، يرد عليهم بالحجج والحقائق العلمية والطبية التالية :

١ - « الطهو الجيد للحوم ينبغى أن يكون فى درجة حرارة لا تقل عن ٧٠م ولمدة ٣ ساعات يمكن أن يقتل فيها جمـيع الديدان فى لحوم الغنم والبقرة » (٢) .

٢ - « لحم الخنزير يصل إلى الاستواء ، والطهو الجيد فى مدة ، ودرجة حرارة أقل من غيره من اللحوم » .

---

(١) المصدر السابق .　　(٢) المصدر السابق .

٣ - لحم الخنزير يكون صالحاً للأكل ، قبل أن تموت الديدان وخاصة الديدان الموجوده داخل هذا الحيوان » [١] .

٤ - الوقاية المضمونة من الإصابة لهذه الدودة هى فى عدم أكل لحم الخنزير [٢] .

(أ) الأمراض العضوية التى تنتج عن أكل لحم الخنزير :

١ - الدودة الشريطية تسبب اضطرابات مختلفة فى الجهاز الهضمى مع ضعف عام ونحول واصفرار الوجه .

٢ - يحتوى لحم الخنزير على ١ ر ٢٨ ٪ من الدهون فى حين أن لحم البقر يحتوى على ٥ر٤ ٪ من الدهون ، لذلك يكون لحم الخنزير أعسر هضماً ويؤثر على الأمعاء .

٣ - يحتوى لحم الخنزير على كمية كبيرة من حامض البوليك ، خلافاً لسائر الحيوانات ، فكل الحيوانات تستطيع أن تفرز (٩٠ ٪ من هذه المادة بمساعدة الكليتين ، إلا أن الخنزير لا يتمكن من إفراز أكثر من ٢ ٪ .

٤ - يسبب لحم الخنزير ، التهاب السحايا ، والمخ نتيجة الإصابة بالميكروب السبحى الكثير الشيوع فى لحم الخنزير » [٣] .

(ب) الأمراض النفسية التى تتسبب من لحم الخنزير :

١ - آكل لحم الخنزير يصاب بموت النخوة ، وعدم الغيرة على أهله .

٢ - لما كان الخنزير من الحيوانات ، أكلات اللحوم ، فهو أكثر عنفا ، وشراسة من الغنم والبقر ، وتنتقل هذه الصـــفات العدوانية إلى آكل لحم الخنزير [٤] .

* * *

(١ ، ٢) المصدر السابق .

(٣) القرآن والطب الحديث د . صادق عبد الرضا .

(٤) المصدر السابق.

لقد تأكد لنا أن الطب الحديث ، وبما حقق من نجاحات هائلة فى عالمه المتعدد الجوانب ، لم يكن إلا مكرّرا ، ومعيداً لما أجمله القرآن الكريم – منذ أربعة عشر قرناً فى كل مجال يعود على الإنسان بالنفع أو الضر فى صحته العضوية والنفسية فالمعجزة الطبية للقرآن تنحصر فى هداية العالمين إلى ما تصح به أبدانهم فيهتدون بها ، وإلى ما يضرهم فيجتنبونه · كل ذلك فى إيجاز بليغ يغنى عن الإسهاب والإطناب ، ولا عجب فإنه الاعجاز القرآنى فى البلاغة والبيان ،والفصاحة والطب أيضاً ·

* *

(ب) تحريم الخمر :

لما كان الإسلام دين عقيدة وشريعة ، اشترط فيمن يتحمل مسئولية هذه العقيدة والشريعة ، شروطا لا تصح هذه المسئولية بدونها ، وهذه المسئولية هى التكليف فى مفهوم الفقه الإسلامي · وشروط التكليف متعددة ، منها الصحة العقلية للمكلف ·

ولأهمية « العقل » وقيمته الكبرى ، فى علاقة المسلم بربه عز وجل ، وفى علاقته بمجتمعه المسلم ، وغير المسلم ، كان الخطاب القرآنى – فى معظم توجيهاته – موجها لذوى العقول ، أو مثنياً على من يعمل عقله وفكره فيما يعود بالخير ، والمنافع الدنيوية والأخروية ، وكان الذم والتوبيخ من نصيب الذين ألغوا فاعليه عقولهم ، وعطلوها عن دورها ، فى التدبر ، والتفكير والتأمل ·

– فمن الخطاب القرآنى الموجه لذوى العقول ، قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِى الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [(١)] ، وقوله

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٩ ·

تعـــالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ [1] ، وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ [2] .

- ومن الآيات التى أثنت على من رزقه خالقه عقلاً ، فأحسن استخدامه وتوظيفه قـــوله تعـــالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِـكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ [3] .

وهناك أيضاً آيات فى القرآن الكريم تعرضت بالذم لمن لا يسمع ، أولا يعقل مثل: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ [4] ، ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ [5] ، ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ، وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ [6] .

وكما قلنا - آنفا - إن العقل شرط من شروط صحة التكليف ، فالمكلف لا تقبل ولا تجب عليه عبادة من صلاة ، وصوم ، وحج وغيرها ، ما لم يكن عاقلاً ، ذلك أن العقل أداة ووسيلة للتفكير ، والتدبر ، والتأمل . والتفكير مطلوب إسلامياً . يقول أصدق القائلين سبحانه : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [7] .

مما سبق من الآيات القرآنية يتبين لنا - مؤكداً - أن للعقل فى الإسلام دورا حيوياً ، وفعالاً ، يجب أن يؤديه . هذا الدور ينحصر فى تمييز العاقل بين الحق والباطل ، بين النور والظلام ، بين الصواب والخطأ فى مفهوم الإسلام ، ولمنزلة العقل ، ومكانته الكبرى . كنعمة من الله تبارك وتعالى تسقط - كما ذكرنا سابقاً - التكاليف العبادية عمن حرم هذه النعمة الجليلة .

ولم يقف الإسلام فى بيان خطورة العقل وأهميته عند هذا الحد ، بل

---

(1) سورة البقرة: الآية ١٩٧ .
(2) سورة الرعد : الآية ١٩ .
(3) سورة الزمر : الآية ١٨ .
(4) سورة الأنفال : الآية ٢٢ .
(5) سورة يونس : الآية ٤٢ .
(6) يونس : الآية ١٠٠ .
(7) سورة النحل : الآية ٤٤ .

نهى عن تغييب العقل وتنحيته ولو اختياريا ، فلا صلاة كاملة لمن غيب عقله أثناء صلاته . فرسول الله ﷺ يقول : «ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت» .

وإذا كان تغييب العقل ، ولو عن طريق الاختيار ممنوعا إسلامياً ، فإن من الأحرى ، والأوجب ، والمنطقى ، أن يكون تغييب هذه النعمة الآلهية وهى العقل . تغييبه بوسيلة محرمة ، وهى الخمر أشد إثما وأكبر جرماً .

ولقد سميت الخمر لأنها تخامر العقل ، أى تغطيه ، وتحجبه ، وتلغى دوره ولو مؤقتاً .

فشارب الخمر المسلوب عقله ، يأتى بكل ما يناقض العقل السليم .

وقد أدرك ذلك الشاعر الجاهلى بفطرته ، بعد أن عاش تجربة ذاتية ، وهو مخمور فقد طعن ابنته فى بطنها - وهو سكران . وسب أبويه . وأعطى الخمار كثيراً من ماله . فلما أفاق . وعاد إليـه عقله الغائب . أخبر بما فعل أثناء سكره ، فندم وخجـل من فعلته الشنيعة . ثم حرم الخمر على نفسه بعد أن قال :

رأيت الخمر مفسـدة وفيها ... خصال تغضب الرجل الحكيما

فلا والله أشربها صحـيحاً ... ولا أشفى بها أبداً سقيـماً

ولا أعطى بها ثمـناً حياتى ... ولن أشقى بها أبـداً نديماً

فإن الخمر تفضـح شاربيها ... وتوردهم بها الأمر العظـيماً

هذا الشاعر الجاهلى هو : قيس بن عاصم المنقرى » [١] .

* * *

(١) الأطعمة القرآنية .

ورب مخدوع ببريق المدنية الغربية ، يزعم لنا متشدقا أن كثيرين ممن يشربون الخمر ، لايتأثرون بمفعول الخمر . بل يكونون فى قواهم العقلية الكاملة ، فيمارسون نشاطهم الحياتى . دون أن يصـــدر منهم ما يشين سلوكهم ، أو يعيب تصرفاتهم .

ونجيب أمثال هؤلاء المخدوعين أو المغرورين ، والمخدرين السكارى نجيبهم بأن للمواد الكحولية المكونة للخمور تأثيراً فعلياً على الجهاز العصبى ، والعقلى لشارب الخمر .

هذا التأثير هو الإسكار ، وهو ما نطلق عليه بتغييب العقل ، وهو رد الفعل الطبيعى لمفعول الخمر ، والنوعية الشاذة التى لا يتأثر جهازها العصبى ، بهذه المواد الكحولية هذه النوعية من البشر استثناء من القاعدة التى تحكم الفطرة السليمة ، فليست مقياساً منطقياً ، ولا حكما عادلاً على براءة الخمور من علة الاسكار ، وتغييب العقل .

وإذا كان هذا المنطق المعوج صحيحاً . فلما جرمت - الدول الغربية التى تبيح الخمر - قيادة السيارات فى حالة سكر قائديها -- لأن هذه الدول تعلم جيداً مفعول الخمر المرير فى القوى العقلية لكل شارب وبدون استثناء .

ونرى الإعجاز الطبى فى القرآن واضحاً وجلياً فى تحريم الخمر حيث أن القرآن الكريم أكد أن فلاح المجتمع مرتبط بالعمل بتوجيهاته العظيمة ، وفى تحريم الخمر فلاح الأمة الإســـــلامية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُو إِنَّمَا الخَمْرُ والمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) ، وقد جاء الطب الحديـــث بقرون عديدة . فعلل الحكمة الطبية ، والاجتماعية فيما حرمه القرآن منذ أربعة عشر قرناً .

---

(١) سورة المائدة : الآية ٩٠ .

فمما قاله هذا الطب بشأن مضار الخمر الصحية : « أثبتت التجارب على الإنسان ، والحيوان ، أن أكثر خلايا الجسم تأثراً ، بالكحول ، هى بالدرجة الأولى الملايين العديدة ، من الخلايا العصبية ، فى قشرة الدماغ وجذعه وبالدرجة الثانية الخلايا العصبية فى النخاع الشوكى »[1] .

والتأثير السلبى على الملايين العديدة من الخلايا العصبية فى قشرة الدماغ وجذعه وعلى الخلايا العصبية فى النخاع الشوكى ، يتبعه بالتالى تأثير سلبى - على عقل شارب الخمر . ورأينا مما سبق ، حرص الإسلام الشديد على سلامه عقل الإنسان باعتباره الوسيلة الجوهرية والمهمـــة ، التى يميز بها المرء بين أسباب ، وعوامل النجاح والتقدم ، وبين مبررات وبواعث الفشل والإخفاق والتخلف فى حياته ودنياه ، كما أن استخدام العقل استخداماً جيداً ، وفى إطاره المأمور ، والمنهى إسلامياً ، سبيل إلى الفوز العظيم والمغفرة ، والرضوان من الله تعالى عز وجل فى الحياة الآخرة .

وندرك هنا معجزة القرآن الطبية ، فلم يحرم ما حرمه إلا لأن هذا المحرم ارتكابه شر مستطير على الإنسان فى حياته ، وما بغد حياته .

صحيح أن القرآن والسنة لم يخوضا ، ولم يفصلاً الأسباب الطبية والصحية لتحريم الخمر ، فهذه ليست رسالة الكتاب والسنة ، وليست من مقاصدهما الكبرى ، كما أن المسلمين الأوائل لم يكونوا يجادلون كثيراً فيما جاء به القرآن والسنة النبوية ، فإيمانهم اليقينى بالكـتاب والسنة كان يحول بينهم ، وبين هذا الجدال الذى لا طائل تحته ، بل كانوا ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾[2] ، نعم إنهم مؤمنون حقاً لأنهم أولو الألباب . فألبابهم صحيحة ، وسليمة ، ونقية ، لأنها حية بطاعة الله تعالى ، وطاعة رسوله الكريم ﷺ .

---

(١) التغذية والمشروبات الروحية . د . أمين رويحه .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٧ .

واغتيال الخمر وتدميرها لعقل الإنسان لا يقفان عند هذا الحد الذى أسلفناه ، بل إن الخمر تشل إرادة الإنسـان الايجابية ، وتصيبها بالضعف والخور .

هذا ما أكده طب القرن العشرين قائلا « ... ويسرى مفعول الخمر ، من أعلى إلى أسفل ، أى أنها تؤثر على الوظائف الأرقى فى المخ أولا ، ولذلك فإن أول شىء يتأثر فى الإنسان ، بالكميات القليلة جداً من الخمر . هو الإرادة ، وضبط النفس ، والسلوك الاجتماعى ، فإذا زادت الكمية تأثرت قدرته على التركيز الذهنى وهكذا »[1] .

لقد نهانا الله تعالى عن الخمر ، لأن الخمر رجس من عمل الشيطان ، ولأن اجتناب الخمر . مناط الفلاح فى الدنيا والآخرة ، كما قال ذلك أصدق القائلين ، فالخمر مسلبة للعقل ، مهلكة لصحة شاربها . والأمم المتحضرة لا تنهض إلا بصحة أبنائها العقلية والجسمية .

من أعضاء جسم الإنسان التى تتأثر - سلبا - بشرب الخمر « القلب والأوعية الدموية : تتسبب الخمر فى زيادة عدد نبضات القلب حيث أن نسـبة ١ ٪ من الكحول تؤدى إلى زيادة نبضات القلب ١٠ نبضات فى الدقيقة عن المعدل الطبيعى ، كما ثبت أن الكحول يؤدى إلى إجهاد عضلات القلب ومعه يمكن حدوث الوفاة »[2] .

« بالنسبة لخلايا الدم : يؤدى الكحول إلى هدم كرات الدم البيضاء والحمراء على حد سواء، فعند إضافة قطرة كحول فى ماء بنسبة ١٪ على نقطة دم وجد أن كرات الدم الحمراء تحولت إلى صفراء، بينما قل نشاط كرات الدم البيضاء »[3] .

« بالنسبة للكبد : يتسبب الكحول فى المرض المعروف باسم تليف الكبد

---

(١) الطب الوقائى فى الإسلام .　　(٢) الأطعمة القرآنية .

(٣) المصدر السابق .

الكحولى ، وهو منتشر جدا فى البلاد الغربية ، ونادر جداً فى بلاد المسلمين - وهذا من فضل الله ورحمته - حيث يموت عدد كبير من خلايا الكبد وتتحول إلى« نسيج ليفى » [1] .

سبق القول إن الخمر مذهبة للعقل ، وإذا غاب العقل ولو لفترة محدودة ، فإن غيابه هذا يسبب العداوة والبغضاء بين من جمعهم شرب الخمر · يقول الحق تبارك وتعالى : مبينا عواقب شرب الخمر الوخيمة : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِى الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ ، وَيَصُدَّكُمْ عِنْ ذِكْرِ اللهِ ، وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُم مُنْتَهُونَ ﴾ [2] .

ويقول الإمام فخر الدين الرازى رحمه الله مفسراً هذه الآية الكريمة · مبينا كيف يؤدى شرب الخمر إلى العداوة والبغضاء (اعلم أن الظاهر فيمن يشرب الخمر أنه يشربها مع جماعة ، ويكون غرضه من ذلك الشراب أن يستأنس برفقائه فكان غرضه من ذلك الاجتماع · تأكيد الألفة والمحبة ، إلا أن ذلك - فى الأغلب ينقلب إلى الضد ، لأن الخمر يزيل العقل ، وإذا زال العقل ، استولت الشهوة والغضب ، وعند استيلائها تحصل المنازعة بين أولئك الأصحاب · والمنازعة ربما أدت إلى الضرب والقتل والمشافهة بالفحش ، وذلك يورث العداوة والبغضاء» [3] .

* * *

إن معجزة القرآن مصدرها أنه كتاب لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » وقد سئل أحد الأعراب لماذا آمنت بمحمد ﷺ فقال : لم يأمر العقل بشىء إلا وقد أتى به · ولم يرض العقل عن شىء إلا وقد نهى عنه ·

* *

---

(١) المصدر السابق ·   (٢) سورة المائدة : الآية ٩١ ·

(٣) من مفاتيح الغيب بتصرف ·

(جـ) تحريم الميتات والدماء المسفوحة :

لقد أحل الله تعالى لعباده الطيبات من الرزق ، وحرم عليهم الخبائث ، وإنما أحلت لنا الطيبات لأن الطيبات جمع طيبة ، وهى تطلق على المستلذ ، مما لا ضرر فيه وعلى النظيف ، وعلى مالا أذى فيه ، وعلى الحلال فمن الأول قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾ ، ومن الثانى : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً ﴾ ، ومن الثالث هذا يوم طيب ، وهذه ليلة طيبة ، ومن الرابع قوله تعالى : ﴿ أَنْفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ [١] ، فمعانى الطيبات كلها لا تخرج ، ولا تتعدى كل ما كان حسنا وخيراً وجميلاً ولذلك كان الطيب حلالاً . والخبيث حراماً . لأنه نقيض الطيب ، ومعانى الخبيث محصورة فى كل قبيح وسيىء ومضر . قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ [٢] ، ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً ﴾ [٣] .

ولقد حرم الله تعالى ما حرم فى آية : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ الآية لآثاره السلبية والسيئة على صحة الإنسان ، فالتحريم هنا يدخل فى نطاق الصحة الوقائية أو الطب الوقائى وهو « علم المحافظة على الفرد والمجتمع فى أحسن حالاته الصحية » [٤]،ومن يتمعن فى جوهر الإسلام، وجميع مبادئه ، وتعاليمه يرى أنها قائمة على محاربة وسائل الشر بجميع أشكاله وصنوفه ، قبل حدوث ووقوع مالا يحمد عقباه فتحريم جميع ما حرمه الله عز وجل ، إنما كان لمصلحة صحية ونفسية ، واجتماعية أو اقتصادية تعود على الإنسان ، ويجب أن نؤمن بذلك ، إيماناً يقينياً ، والآن فلنستعرض الحكمة الشرعية والطبية من المحرمات التالية !

---

(١) فتح البارى جـ ٩ كتاب الأطعمة .
(٢) سورة البقرة : الآية ٢٦٧ .
(٣) سورة الأعراف : الآية ٥٨ .
(٤) الطب الوقائى فى الإسلام .

١ - الميتة :

قال الإمام فخر الدين الرازى رحمه الله مبيناً الحكمة الطبية من تحريم أكل الميتة « . . . وأعلم أن تحريم الميتة موافق لما فى العقول لأن الدم جوهر لطيف جدا ، فإذا مات الحيوان حتف أنفه احتبس الدم فى عروق الحيوان . وتعفن وفسد ، وحصل من أكله مضار عظيمة » واحتباس الدم فى عروق الحيوان ، وتعفنه ، وفساده ، تكون بيئة صالحة لنمو الميكروبات والجراثيم التى تنتقل إلى من يأكل هذا الحيوان الميت . وقد أكد الطب الحديث ذلك موضحاً الآثار والنتائج السيئة التى تعود على صحة من يأكل الحيوان ميتاً ، فماذا قال الطب الحديث فى شأن تحريم الميتة « من المعـروف علمياً أن الحيوان لا يموت إلا لسببين : إما الشيخوخة وكبر السن وإما المرض ، فإذا كان السبب هو المرض ، فالإنسان قد يتعرض للعدوى بأحد طريقين : إما عن طريق انتقال الميكروب مباشرة من اللحم إلى الإنسان إذا لم يكن اللحم قد طهى جيداً ، وإما عن طريق السميات التى يفرزها ميكروب المرض ، والتى لا يمكن أن يقتلها الطهو ، وكثيراً ما يكون موت الحيوان بسبب أكله بعض الأعشاب السامة ، أو المواد الكيميائية القاتـلة وفى هذه الحالة فإن أثرها يبقى فى لحـمه ويصيب من يأكله »[(١)] .

والطيبات من الرزق ، التى أحلها الله تعالى لعباده ، تحتوى على العناصر الغذائية الجيدة ، التى تلعب دوراً كبيراً فى نمو جسم الإنسان ، وحمايته من كثير من الأمراض التى يتعرض لها صحة الإنسان .

فإذا فقد الطعام هذه الصلاحية ، وفقد وظيفته فى تنمية الجسم ووقايته من أى مرض أو علة وناهيك عن ضرره ، وتدميره للصحة العامة ، لم يكن طعاماً ولذلك حرمه الإسلام ، « الحيوان الذى يهرم يصاب بتليف فى جميع أنسجة جسمه ، فيفقد قيمته الغذائية ، ويصبح عسر الهضم »[(٢)] .

---

(١) الطب الوقائى .   (٢) المصدر السابق .

وغنى عن البيان ، أن المقصود بالميتة · هى الحيوان الذى مات توا ، ولم يصب لحمه بالتعفن ، لأن الحيوان المتعفن فى غنى عن تشريع لتحريمه فالنفس البشرية تعافه ، وترفضه ·

الذكاة :

إذا كان أكل الميتة محرماً فى شرع الإسلام ، للأسباب الطبية والصحية ، التى أشرنا إليها سابقاً · فإن الإسلام الذى أباح وحلل الطيبات ومنها لحوم الحيوان والطير · اشترط بالنسبة لهذه اللحوم لكى يكون حلالاً أكلها أن تذبح ذبحاً شرعياً بعد ذكر اسم الله تعالى عليه ·

والذبح أو الذكاة الشرعية فى الإسلام هو « قطع جميع الحلقوم والودجين من المقدم بمحـــدد بلا رفع للآلة قبل التمام بنية إحلالها » (١) حيث « ثبت أن عملية ذبح الحيوان التى تتم بقطع الأوردة الرئيسة فى الرقبة فقط مع المحافظة على بعض الأوردة والشرايين ·تضمن خروج أكبر كمية من الدم فى جسم الحيوان » (٢) .

« أما إذا كانت عملية الذبح خلاف هذه الطريقة الإسلامية ، فإنها تؤدى إلى صدمة عنيفة للحيوان ، يتبعها تجمد الدم فى العروق ، والجسم مع ترسب حامض البوليك فى لحم الحيوان المصدوم » (٣) .

والشروط التى وردت فى تعريف « الذكاة » تؤكد مدى حرص الإسلام على صحة الإنسان ، لأنه – كما هو مسلم طبيًا – أن صحة الإنسان وسلامته بدنيا نابعتان ، وتابعتان لنوعية طعامه ، وكميته : فقطع جميع الحلقوم والودجين كفيل كما أكد الطب ذلك بخروج « أكبر كمية من الدم فى جهسم الحيوان ، هذه الكمية الكبيرة من الدم لو احتبست فى جسم الحيوان كانت

---

(١) الشرح الصغير للشيخ الدردير .

(٢) القرآن والطب الحديث د . صادق عبد الرضا .

(٣) المصدر السابق .

عامل هدم لصحة الإنسان ،الأمر الذى حرمت الميتة بسبب هذا الاحتباس الدموى كما أشرنا إلى ذلك من قبل [1] » ·

كما أن الإسلام كان رحيما بالحيوان المذبوح ، ولذلك اشترط على الذابح أن تكون آلة الذبح حادة ، ولا ترفع هذه الآلة قبل إتمام عملية الذبح، كل ذلك منعا من تعذيب الحيوان تطبيقًا للحديث النبوى الشريف والذى سبق الاستشهاد به ، وهو « إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » ·

حقا إن الرحمة الإسلامية ليست مقصورة على الإنسان فقط ، وإنما تظلل جميع الكائنات الحية ·

٢ - الدم :

كثر الحديث فى السنوات الأخيرة - فى جميع وسائل الإعلام - عن مشكلات نقل الدم · أثناء العمليات الجراحية أو بعدها · وما يسببه نقل الدم هذا وخاصة إذا كان ملوثا ، أو إيجابيا باحتوائه على فيروسات مختلفة كالايدز وفيروسات الكبد · ويقف الطب بكل إمكاناته ، ووسائله المتقدمة عاجزاً ، وبلا حراك حيال هذا الدم الملوث ·

وإذا كان مجرد نقل الدم من جسم إلى آخر ، وليس اتخاذه طعاما أوجد فى عالم الطب مشكلات لا حل لها ولا خلاص ، فليت شعرى كيف يكون مصير إنسان أكل دما مسفوحا حرمه الإسلام ·

إن مجرد التلفظ بكلمة « دم » يبعث فى النفس السوية كل معانى الاشمئزاز والتقزز والاستنكار ·

فالفطرة السليمة التى فطر الناس عليها تعاف منظر « الدم » ورؤيته فضلا عن تناوله « غذاء وطعاما » ·

---

(١) المصدر السابق ·

ولما كان الإسلام دين الفطرة السوية ، فقد كان منطقيًا أن يحرم الدم الذى أبيح استخدامه طعاما ، حين غابت هذه الفطرة السليمة فى حقبة من حقب التاريخ الإنسانى . فقد قال « صاحب [1] الكشاف كانوا - أى أهل الجاهلية - يملأون [2] المعى من الدم ، ويشوونه ويطعمونه الضيف . والله تعالى حرم ذلك عليهم ، والدم المحرم هو الدم المسفوح لقوله تعالى : ﴿ قُلْ لاَّ أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ [3] الآن . وإذا كان الدم المسفوح هو الذى يصدق عليه الحكم بالتحريم ، فإن الدم غير المسفوح ليس محرما مثل الكبد والطحال لقوله ﷺ : « أحلت لنا ميتتان ودمان » ، فالميتتان هما السمك والجراد ، والدمان الكبد والطحال .

وكما قلنا سابقا ، فإن تحريم الدم ، يدخـــل ضمن الصحة الوقائية للإسلام ، لأن الدين الحنيف شديد الحرص على بناء مجتمع أفراده أقوياء صحيا ، وبدنيا ونفسيا ولن يتحقق ذلك ، إلا إذا كان غذاء هذا المجتمع المسلم سليما ، ونظيفًا من جميع الميكروبات التى تفتك بجسم هذا المجتمع . والقرآن الكريم يبين للناس النافع ، والضار من الأطعمة والأشربة ، كما يبين لهم النافع والضار من العقائد ، والأخلاق . والسلوكيات ، والشرائع الباطلة ، لأنه المعجزة السماوية فى الطب ، والبيان ، والبلاغة . والكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه .

نعم تجلت ووضحت معجزة القرآن الطبية ، فى تحريمه للدم المسفوح قبل قرون طويلة ، والإنسانية تجهل الأبجديات الأولى لعلم الطب .

ولم يكن أمام الطب الحديث الذى ولد بعد هذه القرون ، من المعجزة الآلهية إلا أن يردد ما أثبته القرآن ، فلم يضف هذا العلم الحديث الا أن علل

---

(١) مفاتيح الغيب . (٢) المعدة . (٣) سورة الأنعام آية : ١٤٥ .

وفصل وذكر أسباب خطورة الدم - سلبيا - من الناحية الصحية . فمما قاله هذا الطب فى هذا الشأن :

(١) الدم أفضل غذاء للميكروبات ، ووسط صالح لنموها . فهو إذن سريع التلوث حتى فى حالة تناوله كغذاء .

(٢) رائحته كريهة .

(٣) منظره وشربه يولد القسوة فى نفس الإنسان العادى . ويجعله عرضه لارتكاب الجرائم .

(٤) يحتوى على نسبة كبيره من البوريك ولفضلات أخرى تضر بالجسم .

(٥) ثقيل التناول وذلك لاحتواء كريات الـدم على نسـبة عالية من الحديد ، مما يسبب آلاما فى المعدة والبطن ويتبع ذلك التقيؤ والإسهال .

(٦) يؤدى تناوله إلى أضرار تصيب الكبد والمعدة والأمعاء »[1] .

* *

(د) تحريم الزنا واللواط :

من المحرمات التى تعد إحدى حكم تحريمها من قبيل الحفاظ على صحة الإنسان ووقاية لهذه الصحة من كثير من الأمراض العضوية والاجتماعية - تحريم الزنا واللواط وغيرهما من العلاقات الجنسية ، التى تتم خارج إطار العلاقة الزوجية الشرعية ، التى أقرها الإسلام .

وإذا كان موضوع كتابنا هذا ، هو الإعجاز الطبى فى الكتاب والسنة ، فإنه الإسلام كنظام ، ودين سماوى ، وتصور حضارى ، ومنهج اجتماعى لحياة الإنسان ، له أهداف أخرى ، من وراء تحريمه لأية علاقة جنسية غير شرعية فى منظور العقيدة الإسلامية فمن الثابت قرآنيا ، أن القصد الإلهى من

---

(١) القرآن والطب الحديث باختصار .

خلق الإنسان الأول كان لتحقيق الخلافة على هذه الأرض ، يقول الخالق سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ، وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) والخلافة فى هذه الأرض لا تعنى إلاعمارة الأرض ، بالبناء ، والتشييد ، والإبداع ، والتكوين ، وفقا لشرع الله تعالى ٠

ولا شك أن الخلافة أيضا ، لا تتحقق ، ولا تزدهر ، إلا بالإنسال ، ولا إنسال إلا إذا كان زوجان ، يسكن أحدهما إلى الآخر ، ﴿ وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِن أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) ٠

ولا سكون للزوجين إلا إذا ارتبطا بعقد شرعى ، مؤيد بشاهدين وصيغة وقبول ، بهذه الشروط وحدها ، يقر الإســـلام العلاقة الاجتماعية بين الرجل والمرأة ويسـميها زواجا شرعيا ٠ نعم هذا هو الزواج الصحيح فى مفهوم الإسلام والذى بمقتضاه يتم بمشيئة الله تعالى - التناســـل ٠ وعمارة الكون ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وِنسَاءً ﴾ (٣) ٠

وتشريع الزواج فى الإسلام ، كان اعترافا من هذا الدين بالمشكلة الجنسية، فالإسلام لما كان دين الفطرة السوية - لم ينكر غرائز الإنسان ومنها الغريزة الجنسية - ولم يستقذرها ، وإنما نظمها ، ووضع لها الشروط والقواعد الحضارية التى تلائم كرامة الإنسان ، المستمدة من تكريم خالقه عز وجل إياه ٠

نعم كان موقف الإسلام من القضية الجنسية موقفا وسطا لأنه دين

---

(١) سورة البقرة آية : ٣٠ ٠ (٢) سورة الروم آية ٢١ ٠

(٣) سورة النساء آية : ١ ٠

الوسطية فلم ينكر الدوافع الغريزية ، ولم يطلقها من عقالها لتلحق بالحيوانية ، وإنما كبح جماحها ، وهذب من عنفوانها ، بالحلول التى تناسب مبدأ الإسلام وجوهره وروحه ، فلا إفراط ، ولا تفريط ، بل وسطية ، واعتـــدال ، وقوامية ٠

والخروج عن هذه الوسطية ، بالجنوح إلى الإفراط ، أو التفريط ، مرفوض إسلاميا فلا رهبانية فى الإسلام ، ولا إباحية مطلقه بدون قيود ، أو سدود أو موانع ولذلك حرم - فى شرع الإسلام - الزنا واللواط وغيرهما من العلاقات غير الشرعية ، كما حرم جميع الوسائل والمقدمات التى تؤدى إلى هذه الجرائم الخلقية ، فمن هذه المقدمات ، النظر إلى المرأة الأجنبية ، كذلك نظر المرأة إلى الرجل الأجنبى يقول تعالى فى محكم تنزيله : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ ﴾ (١) ٠

فغض البصر وسيلة وقائية - كما قلنا - والنظر إلى المرأة الأجنبية ، ولا سيما إذا كان مقصودا به الشهوة ، من المقدمات المساعدة لاقتراف إثم الزنا لأن النظر كما يقول الإمام فخر الدين الرازى رحمـــه الله « بريد الزنا ، ورائد الفجور ، والبلوى فيه أشد وأكثر ، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه » (٢) ٠

وقد نهى القرآن الكريم عن مجرد الاقتراب من الزنا تفظيعا ، وتخويفا للنفوس من ارتكاب هذه الجريمة ٠ فقال سبحانه جلت حكمته : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (٤) « قال القفال : إذا قيل للإنسان لا تقرب هذا ، فهذا أكبر من أن يقول له لا تفعله » ٠

---

(١) سورة النور الآيتان : ٣٠ ، ٣١ ٠ (٢) مفاتيح الغيب جـ ١١ ٠

(٣) سورة الأسراء آية : ٣٢ ٠ (٤) سورة الأنعام آية ١٥١

وقد جعلنا تحريم الزنا من الصحة الوقائية ، مثل تحريم الميتة ، والخنزير والدم ، والخمر لأن اقتراف الزنا أو اللواط لهما من المضار الصحية والاجتماعية التى تفت فى عضد المجتمعات ، وتحول بين تحقيق خلافة الإنسان على الوجه الذى يرتضيه خالق الإنسان والكون والحياة ·

فمن هذه المضار الصحية ·

١ - **السيلان** : وسببه الميكروبات ذات البنية اللون التى يصاب بها الإنسان ، نتيجة العلاقات الجنسية ، غير الشرعية ، واتصاله بالنساء المريضات والعكس · وقد تكون المرأة حاملة للميكروب سنين طويلة ، فى أعضائها التناسلية فيكون مصدر العدوى الدائمة الخطيرة ·

٢ - **السفلس** : وهو من الأمـــــراض الزهرية الخطرة يسببه ميكروب « اللولبية الشاحبة » ويصاب به الإنسان ، أثناء العلاقات الجنسية السرية مع الفاحشات ، أو عند اللواط · وهو نوعان : مكتسب ووراثى ·

(أ) السفلس المكتسب : تحدث الإصابة به عند الاتصالات المشبوهة · حيث تدخل جرثومته الجسم ، وتمكث فيه مدة ثلاثة أسابيع دون أن يصحبه أعراض · وتسمى هذه بـ (فترة الحضانة) ، ثم تبدأ الأعراض بالظهور ، وفى ثلاث مراحل :

(١) السفلس الأولى وتظهر أعراضـــه بعد ثلاثة أسابيع من التقارب الجنسى ، ومن علائمه تقرح فى الأعضاء التناسلية للمرأة والرجل معًا ، كالقضيب والشفرين · والمهبل ، وعنق الرحم ، وفتحة الشرج · والفم خصوصا عند المصابين بالشذوذ الجنسى · ويحدث تورم فى العقد الليمفاوية المغبنية ، ويمكن كشف ميكروب السفلس تحت المجهر · بعد أخذ عينة ، أو مسحة من مكان الاصابة ، أو من العقد الليمفاوية :

(٢) السفلس الثانوى : تبدأ أعراضه بعد ستة أسابيع من اختفاء وأعراض

السفلس الأولى ، وتنتشر إصابته فى الجسم ، ومن أبرز علائمه ظهور طفح جلدى متنوع فى جميع أنحاء الجسم ، بما فيها الأنسجة المخاطية فى الفم والمهبل . كما يصحبه سقوط شعر الرأس ، أو الشـــعر فى أجزاء الجسم الأخرى ، وظهور الطلاء الأبيض على اللسان مع حدوث تورم فى العقد الليمفاوية . فى عموم الجسم .

(٣) السفلس الثالوثى ، ويطلق عليه اسم الدور المخرب » حيث يصيب الجلد وسائر أعضاء الجسم ، وتقوم الدرنات الســـفلسية ، بدور واسع ومخرب ، داخل أنسجة الجسم . ويتعرض الجهاز العصبى للتخريب وخصوصاً الأعصاب الحسية التى تفقد الشخص القدرة على تحسس الألم والحرارة والبرودة ، فتسبب له مضاعفات عديدة ، ومؤذية .

وفى هذا الدور يصاب الكبد والقلب ، والأبهر والكليتين ، والمعدة ، والخصية والسحايا والدماغ » .

(ب) السفلس الوراثى : يحدث نتيجة إصابة الأم بالسفلس العام ، وبه يصاب الجنين عن طريق المشيمة ، لأن ميكروب السفلس يتمكن من اختراق غشاء المشيمة ، فيؤدى إلى موت الجنين داخل الرحم ،وحصول (الاجهاض) وقد يولد الطفل ، وجلده متجعد على العموم . ولونه عميق (قهوانى) مع ظهور طفح كيسى على الجلد . ويمكن العثور على ميكروب السفلس بفحص محتوياته » [١] .

وقد يزعم البعض أن العلم باكتشافاته ، ووسائله المختلفة كفيل بالقضاء على هذه « السلبيات » ، الناشئة من العلاقة الجنســـية التى تتم بين رجل وامرأة ، أو بين رجل ورجل أو بين امرأة وأخرى .

---

(١) بتصرف من كتاب القرآن والطب الحديث د . صادق عبد الرضا على منشورات دار المؤرخ العربى – بيروت .

ففى كثير من الدول التى تبيح البغاء ، يتم الكشف الطبى بصفة دورية على الجنسين ، فضلا عن وجود العوازل الطبية للرجال !!

وما تتحدثون عنه من أمراض تسببها العلاقة الجنسية غير المشروعة - كما تقولون - ربما كان حدوثها ممكنا فى الأزمنة الغابرة أما اليوم فإن العلم قد وضع لكل مشكلة حلا . ولكل سؤال إجابة عملية .

ونقول لهؤلاء المفتونين بإنجازات العلم الحديث ، وانتصاراته الباهرة فى مختلف ميادين الحياة ، نقول لهم - كما قلنا أكثر من مرة على صفحات هذا الكتاب - نحن لا ننكر ولم ننكر فضل هذا العلم على البشرية ، وعليكم أيضا أن تقروا وتعترفوا أن هذا العلم الذى تمجدونه وتعظمونه - مازال عاجزا عن حل بعض المشكلات الصحية لإنسان القرن الحادى والعشرين . فهذا العلم مازال عاجزا ، لم يحرك ساكنا من فيروس مدمر شديد الفتك بالإنسان ، فيروس يصيب المناعة الطبيعية للإنسان فى مقتل .

نعم الملايين من البشر فى جميع الدول ، ومنها دول زعمت أنها ملكت الأرض والفضاء ، والقمر . والبحار ، وما تحت البحار . هؤلاء الملايين من الناس مصابون بمرض اطلقوا عليه : الايدز ، أو نقص المناعة وفشلها ، هؤلاء المرضى بالإيدز ينتظرون الموت بين عشية أوضحاها . ومعلوم أن مرض الايدز هذا سببه الاتصال الجنسى غير المشروع ، وهو ما أطلق عليه الإسلام : الزنا أو اللواط . وحرمهما منذ أربعة عشـر قرنا . وكان هذا التحريم إعجازا طبيا قرآنيا ، لأن مرضا مثل فشل المناعة ، لم يكن معروفا عندما أنزل تبارك وتعالى على نبيه محمد ﷺ قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ صدق الله العظيم .

* *

(هـ) أذى المحيض

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى ، فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ، فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِن حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (١) .

« ويعرف المحيض طبيا بأنه : عبارة عن نزف وطرد فيزيولوجى للغشاء الداخلى للرحم ، ويحدث شهريا بشكل منتظم فى أغلب الأحيان ، منذ البلوغ إلى سن اليأس » (٢) .

وحرصا من الإسلام على صحة الزوجين ، وانطلاقا من مقصوده الاجتماعى لمفهوم الزواج كعلاقة مشروعة ، بين الرجل والمرأة · لتحقيق الخلافة فى الأرض ، هذه الخلافة التى كان خلق الإنسان الأول من أجلها ·

وحرصا من الإسلام أيضا ، وضمانا منه لامتداد الجنس البشرى على هذه الأرض ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولن يكون امتداد واستمرار بشرى ، وتناسل نوعى معافى من جميع الأمراض والعلل ، إلا إذا تمتع الزوجان بصحة عضوية ونفسية متكاملة ، واقتراب الزوج من زوجته أثناء الدورة الشهرية يعرض هذا الزوج لمخاطر صحية ·

نقول حرصاً من الإسلام على هذه الاعتبارات الصحية والطبية حرم الإسلام المعاشرة الزوجية فى المحيض · فالمحيض بنص القرآن أذى ، وجاء التحريم بإحدى صيغ التأكيد المعروفة لدارسى النحو العربى ، فالأذى فى النص القــرآنى جاء خبرا للمحيض ، قصدا للمبالغة ، كما نقول : رجل عدل ، إذا أردنا المبالغة والتأكيد فى عدالة هذا الرجل ·

وقد فسر الإمام فخر الدين الرازى ، الأذى بالقذارة و« أن الأذى فى

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٢٢ ·   (٢) القرآن والطب الحديث ·

اللغة ما يكره من كل شيء »[1] ، وقال رضي الله تعالى عنه « دم الحيض دم فاسد يتولد من فضلة تدفعها طبيعة المرأة من طريق الرحم ، ولو احتبست تلك الفضلة لمرضت المرأة ، فذلك الدم جار مجرى البول ، والغائط فكان أذى وقذراً »[2] وإذا كان دم الحيض أذى وقـذارة ، فزوال الحيض طهارة قال تعالى : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِن حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ ﴾ والطهارة نظافة،ووضاءة ونقاء . والإسلام كما هو معروف دين يدعو إلى النظافة و﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ ﴾ .

ولأن الإسلام دين نظافة وطهارة « فإن أكثر فقهاء الأمصار على أن المرأة إذا انقطع حيضها لا يحل للزوج مجامعتها ، إلا بعد أن تغتسل من الحيض ، وهذا قول مالك والأوزاعي ، والشافعي والثوري »[3] .

هل هناك دعوة للصحة ، وللصحة الوقائية أدق وأوفى وأشد حرصا على صحة الإنسان ، وسلامته من الطب الوقائي في القرآن الحكيم الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد البشر محمد ﷺ .

ولقد كان الإسلام بالمرأة كريما ، محترما لمشاعرها كأنثى فمنع الاقتراب منها أثناء هذه الحالة البيلوجية المؤقتة ، التي لا تفارق المرأة حتى سن متأخرة .

ولا نقف على حرص الإسلام على كرامة المرأة ، ومراعاة إنسانيتها ، أثناء المحيض إلا إذا علمنا كيف كانت تعامل المرأة قبل الإسلام إذا حاضت .

يقول الإمام الرازي رحمه الله تعالى « اليهود والمجوس كانوا يبالغون في التباعد عن المرأة حال حيضها . والنصارى كانوا يجامعونهن ، ولا يبالون بالحيض ، وأن أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ، ولم يشاربوها ، ولم يجالسوها على فرش ، ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس »[4] .

---

(١) مفاتيح الغيب جـ ٣ . (٢) مفاتيح الغيب جـ ٣ .
(٣) المصدر السابق . (٤) المصدر السابق .

وقد استمر هذا الوضع الجاهلى اللاإنسانى ، الذى فيه من الإهانة والتحقير والازدراء للمرأة كثير ، إلى أن أشرق فجر الإسلام ، فأشرقت الأرض بنور ربها . فكان موقف الدين الجديد من هذا الذى يعترى النساء موقفا مطابقا لإنسانية الإسلام ، كان موقفه هو اعتزال النســاء فى المحيض فقط ، ونهى عن عدم مؤاكلتهن ومشاربتهن ، ومجالستهن ، ومساكنتهن ، كما فعلت الجاهليه الأولى لأن هذا الوضع الطارئ الذى تمر به المرأة شهريا ، أمر حياتى وطبيعى لا ذنب لها فيه ، وكما قال المبعوث رحمة للعالمين عليه الصلاة والسلام فى هذا الشأن « إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم »[1] فما دام الحيض أمرا كتبه الله تعالى على بنات آدم فليعاملن معاملة تتفق مع كرامة الإنسان واحترامه ، ومراعاة حقوقه التى أكدها الإسلام ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾[2] .

ورغم أن آية اعتزال النساء فى المحيض ، واضحة وجلية ، فالآية قررت الاعتزال فقط ، إلا أن بعض الأعراب ، ربما لم يستوعب مبدأ اعتزال النساء فقط أثناء المحيض ، لأن هؤلاء الأعراب ، كانت عادات الجاهلية ما زالت مسيطرة على وجدانهم وتفكيرهم . فقد جاء نفر منهــم إلى النبــى ﷺ قائلين : « يا رسول الله . البرد شديد ، والثياب قليلة ، فإن آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت ، وإن استأثرناها هلكت الحُيَّض . فقال ﷺ : « إنما أمرتكم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن ، ولم آمركم بإخراجهن من البيوت ، كفعل الأعاجم » ، فلما سمعت اليهود ذلك . قالوا هذا الرجل يريد ألا يدع شيئًا من أمرنا إلا خالفنا فيه »[3] .

والبون والمسافة شاسعة ، وعميقة بين موقف الإسلام الحضارى المبنى

---

(١) فتح البارى جـ ١ . (٢) سورة الإسراء آية : ٧٠ .

(٣) المصدر السابق .

على تكريم المرأة واحترامها · وبين موقف الجاهلية الموغلة فى احتقار وامتهان المرأة فى « أمر كتبه الله على بنات آدم » فقد اكتفى الإسلام بعدم المعاشرة أثناء الدورة الشهرية وتحريم هذه المعاشرة كان للحفاظ على صحة الزوجين من المضار الطبية، إذا تمت هذه المعاشرة أثناء الحيض · وفى هذا التحريم والمنع يكمن الإعجاز الطبى للقرآن الكريم · نقول فى منع الاقتراب من النساء أثناء هذه الحالة الطارئة إعجاز طبى لأن الإنسانية لم تكن تدرك فى ذلك العصر ، المضار الطبية والصحية التى سوف تنشأ من المعاشرة فى المحيض · فلم تكتشف هذه المضار ولم يمط اللثام عنها إلا بعد قرون ، وقرون من نزول القرآن الكريم ·

فقد جاء الطب بعد المئات من السنين ليكشف لنا النقاب عن أمراض وآفات يسببها الاتصال بالمرأة الحائض · فمنها هذه الأمراض :

(١) « التهاب الأعضاء التناسلية للمرأة كالمهبل ، والرحم ، وما يصحب ذلك من ارتفاع فى درجات الحرارة ، وترشحات مرضية ذات رائحة كريهة فى بعض الأحيان ·

(٢) تحرش المهبل والإصابة بالرضوض والسحجات ·

(٣) وصول الإلتهاب فى بعض الحالات إلي ملحقات الرحم كقناة التى البيضة تؤدى إلى العقم الدائم -

(٤) آلام فى منطقة الثديين ، وعدم حصول الإنسجام عند المداعبة ·

(٥)ردود فعل عصبية تؤدى إلى انقطاع شديد للمحيض مع آلام شديدة·

(٦) اضطراب حالة المرأة النفسية يؤدى إلى تصرفات غير طبيعية فى البيت والمجتمع ·

(٧) زيادة كمية النزف الدموى المرافق للحيض يصحبه ضعف عام لدى المرأة ·

(٨) التهاب الأعضاء التناسلية فى الرجل يشمل لشدته المثانة والمجارى البولية والبروستاتا »[١] .

* * *

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[٢] يقول شهيد الإسلام الأستاذ سيد قطب فى معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة « هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم ، وفيما يهديهم فيشمل الهدى أقواما ، وأجيالا بلا حدود ، من زمان أو مكان ، ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق وكل خير يهتدى إليه البشر فى كل زمان ومكان »[٣] .

* * *

---

(١) القرآن والطب الحديث . (٢) سورة الإسراء آية : ٩ .
(٣) فى ظلال القرآن جـ ٤ .

المبحث الثالث

وسائل إيجابية فى الوقاية من الأمراض

(أ) الصيام:

قلنا - ربما فى أكثر من موضع فى هذا الكتاب - إن الغاية الكبرى من خلق الإنسان هى عبادة الله عز وجـــل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ كما قلنا أيضا إن العبادة تشمل حق الخالق سبحانه نحو مخلوقه ، وحق المخلوق نحو المخلوق · والحكمة من العبادة هى تأكيد خلافة الإنسان فى الأرض · وارتباط المخلوق بخالقه عز وجل ·

وكلما اجتهد هذا المخلوق فى عبادة ربه تعالى وتضرع إليه ، وتذلل طائعا بالمأمور به من قبل الله تعالى ، منتهيا إلى ما نهاه عنه ، كان من عباده الصالحين الذين يرثون الأرض ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ ﴾ (١) .

كما أن لعبادة الله تعالى عز وجل نتائج إيجابية أخرى ، مثل الاستخلاف فى الأرض وتمكن دين الله سبحانه الذى ارتضاه لعباده الصالحين مع حياة يظللها الأمن والطمأنينة ، والسكينة ، يقول أصدق القائلين ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾(٢) والفاسقون هم الذين خلعوا وسام عبودية خالق السموات والأرض جل وعلا ، وتكبلوا بأغلال عبودية سوى الله مالك الملك ، خالق الموت والحياة ، فخسروا دنياهم وآخرتهم ·

---

(١) سورة الأنبياء آية : ١٠٥ ·   (٢) سورة النور آية ٥٥ ·

إذن المقصود من العبادة هو تأكيد الصلة والارتبـــاط الوثيق بين العبد وربه ، ولقد اشتمل بعض العبادات - لذلك - على ما يسعف ويعين الإنسان على القيام بتكاليف ، وتبعات العبادة ، فمن هذه العبادات الصيام ، سواء كان فرضا ، أو تطوعا ، فصيام شهر رمضان فريضة إسلامية بنص القرآن الكريم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) .

فالآية الكريمة بينت القصد الشرعى الحكيم ، وهو التقوى السبب والحكمة من فريضة الصيام ، كما أن للصيام الحكمة الأخرى - كما بينا - التى تعين الإنسان على أداء واجباته وفرائضه نحو ربه ، ونحو نفسه ومجتمعه هذه الحكمة الأخرى هى أن تكون الصحة العضوية والنفسية سليمة لأفراد المجتمع المسلم . فالعجز بجميع صوره وأشكاله ، وأنواعه سلبية ، ولذلك مما استعاذ منه النبى ﷺ .

والحكمة الطبية للصيام تكفلت السنة النبوية ببيانها . فقد قال عليه الصلاة والسلام « صوموا تصحوا » (٢) وخطابه هذا عليه الصلاة والسلام موجه إلي أمته الرءوف الرحيم بهم ، وصحة الأمة الإسلامية ، البدنية منها والنفسية تهم المبعوث رحمة للعالمين لأن « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » كما قال عليه الصلاة والسلام .

« صوموا اتصحوا » ، نصيحة نبوية خالدة ، ومعجزة طبية ، وقاعدة من قواعد الوقاية الصحية الإيجابية ، يجب الإيمان بها . والعمل بمقتضاها . مثلما آمن بها المسلمون الأوائل : فصحت أبدانهم . وقويت أجسامهم فسادوا الدنيا، ناشرين فيها حضارة الإسلام ، وقيمه وأخـــلاقه التى تعلى شأن الإنسان وتكرمه ، حاكما كان هذا الإنسان أو محكوما ، مسلما كان أو غير مسلم .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٣ .   (٢) البخارى ومسلم .

والآن وطبقا للمنهج الذى اتبعناه فى هذا الكتاب علينا أن نستعرض آراء وأقوال الأطباء المعاصرين فيما يتعلق بالصيام ونتائجه الإيجابية على صحة الإنسان ٠

ففى البحوث الطبية الحديثة تأكيد لما جاء فى السنة النبوية وهو أن الصوم سبب إيجابى لبناء الصحة الجيدة ، فأهم عضو فى جسم الإنسان الذى هو القلب ، ولقد كان هذا العضو مهما لأنه المقياس الوحيد لحياة المرء أو موته ٠ تلك الجوهرة الربانية التى نعنى بها « القلب » ٠ فقلب الإنسان يتأثر إيجاباً بالصوم كما يتأثر سلبا بالإسراف فى الطعام ولا سيماً إذا احتوى هذا الطعام على نسبة عالية من الدهنيات ٠

فماذا قال الأطباء فى العصر الحديث عن فوائد الصوم والخاصة بقلب الإنسان ؟

(أ) الصوم يحذف المنبهات الدائمة للقلب ٠

(ب) يسمح للقلب بالراحة ٠

(جـ) ينقى الدم ، وبذلك يتاح للقلب أن يتغذى بدم نقى ونظيف « إن القلب يضرب ٨٠ ضربة فى الدقيقة الواحدة ، أى ما يعادل ١١٥٢٠٠ مرة فى الـ ٢٤ ساعة ، ولقد لوحظ فى الأيام الأولى من الصوم تناقص فى عدد ضربات القلب ، بحيث يصل إلى أقل من ٦٠ ضربة فى الدقيقة ٠ وبعد ذلك يعود نبض القلب ليثبت على ٦٠ ضربة فى الدقيقة طيلة فترة الصوم » [١] ٠

« وإن هذا النقص فى عدد دقات القلب يوفر ٢٨٨٠٠ دقة فى الـ ٢٤ ساعة وهذا معناه أن القلب يرتاح من ربع العمل الذى كان يقوم به ٠ هذا من الناحية الكمية ، أما من الناحية الكيفية ، فالصوم يحسن قوة دقات القلب

---

(١) التداوى بالصوم تاليف هـ ٠ م شيلتون ، إعداد دار الرشيد ، دمشق – بيروت ٠

وشدتها » [1] . « وإذا أردنا أن نعبر عن ذلك بشكل آخر ، فإننا نستطيع أن نقول إن الصيام هو طور راحة ، وعطلة صيفية للقلب ، يستفيد منها كثيراً ، ويستعيد أثناءها وبعدها نشاطه على الوجه الأكمل » [2] .

وكما قلنا أكثر من مرة ، إن المعجزة الطبية فى القرآن الكريم أو السنة النبوية فى غنى عن تأييد أو إقرار من العلم الحديث لتلك المعجزة بل إن ما يثبته العلم الحديث ، أو بعض ما يثبته هذا العلم من قضايا طبية ربما فى حاجة إلى سند ، أو دليل من الكتاب أو الحديث النبوى الصحيح واستشهادنا بالعلم أو بمنجزات الطب المعاصر ، فيما أشار إليه الكتاب أو السنة من علاج أو حل لبعض المشكلات الصحية ، أو العلاجية أو الداوئية إنما لبيان الإعجاز الطبى ، وتوضيحه فى الكتاب والسنة ، وحديث رسول الله ﷺ « صوموا تصحوا » والذى أسلفناه قاعدة طبية وقائية ، فما زال علم الإنسان يقدم كل ما يؤكد ما فى هذا الحديث من فوائد فى عالم الصحة البدنية ، فالصوم - كما هو معلوم - امتناع عن الطعام والشراب نهاراً . والطعام للإنسان إكسير الحياة .

فهو الذى يمده بالطاقة والحيوية - ولا يتوهمنّ متوهم ، أو يظن ظان أن الإنسان إذا امتنع عن الطعام والشراب أياما أو شهراً تسبب فى هلاك نفسه صحياً ، أو على الأقل أصابه ضعف أو خور فى بنيانه ، ومن ثم لا يطيق الصائم أن يؤدى ما كلف به من مسئوليات فى حياته اليومية .

فلقد أبطل العلم الحديث هذه الادعاءات ، وتلك المزاعم التى لا سند طبيا لها . بل إن هذا العلم أثبت عكس هذه الافتراءات ، فأكد بالتجارب العلمية ، أن الصيام عامل مهم فى زيادة كرات الدم الحمراء ، وعلاج لأمراض فقر الدم .

« لقد أثبت الصوم فائدته الكبرى . وأثره البالغ فى علاج حالات فقر

(١ ، ٢) المصدر السابق .

الدم المختلفة ، فقد لاحظ أحد الباحثين من خلال التجارب والعلاجات التى أجراها بالصوم أن عدد الكريات الحمراء ، قد زاد فى اليوم الثانى عشر من الصوم من ٠٠٠ ر ٥٠٠ ر إلى ٠٠٠ ر ٠٠ ر ٣ كذلك لو حظت زياده كمية « الهيموجلوبين وتحسين نوعه » [١] .

أما من يزعم أن الصوم مؤد إلى الهلاك أو الموت فإليهم شهادة الطبيب الأمريكى شيلتون فى كتابه « التداوى بالصيام » ، الذى يقول فيه « يستعمل تعبير الموت جوعاً ، فى حالات موت شخص ما بسبب الحرمان ، أو فقد الغذاء ، وهو لذلك يختلف كليا عن كلمة الصوم ، التى تعنى التوقف الإرادى » أو الامتناع الطوعى لعدة أيام ، عن تناول الأطعمة ، وذلك بغية الوصول إلى شفاء من مرض أو حالة مرضية حادة » [٢]ولا يلام الطبيب الأمريكى إذا اعتقد أن الهدف من الصيام منحصر فى الشفاء من الأمراض ، أقول لا نلوم الطبيب الأمريكى ، لأنه لم يدرس حكمة التشريع فى الإسلام ليعلم أن الصوم الإسلامى - قبل أن يكون علاجا من مرض أو وقاية صحية - هو عبادة وطاعة وتقوى وقربة إلى الله عز وجل ثم يقول د . شيلتون مؤكدا أن الإنسان قادر على الصوم لأكثر من شهر « إن الإنسان يمكنه البقاء دون طعام مدة ٧٩ يوماً على وجه التقريب » وهناك أمراض أخرى كثيرة . الصوم هو الدواء الناجع لها . فمن هذه مرض الروماتيزم « خصوصا الروماتيزم المفصلى العظمى . حيث تلعب زيادة الوزن دوراً رئيساً فى حدوثه ، وما يحدث فى شهر رمضان من نقص الوزن يكفى لإحداث تحسن فى حالة المفصل ، حيث لا احتكاك من الغضاريف فيقل التهابها » [٣] .

« ومريض الصدر » ، وأكثرها شيوعا ربو الصدر لوالتزم بروح شهر

---

(١) المصدر السابق .　　(٢) المصدر السابق .

(٣) د . مدحت صابر شافعى (كتاب اليوم الطبى) ، اخبار اليوم .

رمضان وتجنب الإفراط فى طعامه ، وامتلاء معدته لحال دون ارتفاع الحجاب الحاجز مما يحدث ضيقا فى الحيز الصدرى » [1] .

وهناك أمراض أخري يعالجها الصيام مثل ضغط الدم المرتفع · وبعض الأمراض الجلدية وغيرها ·

صلى الله تعالى عليك يا خاتم الأنبياء والمرسلين - منذا أربعة عشر قرنا علمت البشرية جمعاء الوسائل الصحيحة لصلاح دينهم ، ودنياهم ، ولقد صدق من سماك « بالمؤمنين رءوف رحيم » ·

* *

(ب) الحجر الصحى فى الإسلام :

يقوم مفهوم الحجر الصحى وماهيته ، على منع انتقال الداء من المريض إلى السليم ، أو بمعنى آخر ، حصر المرض المراد عدم انتقاله فى منطقة معينة حتى يسهل القضاء عليه ، قبل انتشاره إلى المناطق المجاورة للبيئة الموبوءة ·

ونبى الإسلام سيدنا محمد ﷺ الرءوف الرحيم بالمؤمنين كما وصف بذلك فى القرآن الكريم ، لم ينكر انتقال المرض عن طريق العدوى ، إلي الإنسان السليم ، بل نصح عليه السلام أمته ، بأن تتجنب المناطق التي تتفشى فيها الأمراض المعدية ، ولم يكتف ﷺ بذلك ، بل فرض على مثل هذه المناطق · حظر انتقال أفرادها ، إلى جهات أخرى منعا من انتشاور وتفشي الوباء · وهذا ما يشير إليه الحديث النبوى ، الذى رواه الإمام البخارى رحمه الله وهو « إذا سمعتم بالطاعون فى أرض ، فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض ، وأنتم بها فلا تخرجوا منها » [2] .

وحديث آخر رواه البخارى أيضاً تلو الحديث السابق ونصه « إن عمر بن

---

(١) المصد السابق ·

(٢) فتح الباري جـ ١ ·

الخطاب ﷺ خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ [1] لقيه أمراء الأجناد ، أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ، فأخبروه أن الوباء وقع بأرض الشام ، قال : قال ابن عباس : فقال عمر ادع لى المهاجرين الأولين فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع فى الشام ، فاختلفوا . فقال بعضهم : قد خرجنا لأمر ، ولا نرى أن ترجع عنه ، وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء فقال : ارتفعوا عنى ثم قال : ادع لى من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدعوتهم ، فلم يختلف منهم عليه رجلان . فقالوا نرى أن ترجع بالناس ، ولا تقدمهم على هذا الوباء ، فنادى عمر فى الناس ، إنى مصبح على ظهر فأصبحوا عليه ، فقال أبو عبيدة بن الجراح : أفرارا من قدر الله فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة - نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله . أرأيت إن كانت لك إبل هبطت واديا له عدوتان . إحداهما خصيبة . والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصيبة رعيتها بقدر الله . وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله . قال فجاء عبد الرحمن بن عوف . وكان متغيبا فى بعض حاجته فقال : إن عندى فى هذا علماً . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه . وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » قال: فحمد الله عمر ثم انصرف » [2] .

والحديثان معناهما واحد ، وإن اختلفا فى اللفظ ، ولكننا آثرنا إيراد الحديث الأخير رغم طوله لندلل على أن المسلمين الأوائل لم يكونوا يخطون خطوة ، إلا بعد أن يحكموا دينهم وشريعتهم ، وتكون حركتهم سلبا أو إيجابا ، علي ضوء ما يقره الإسلام أو يرفضه .

---

(١) مدينة افتتحها أبو عبيدة .

(٢) فتح البارى .

فالدخول إلى الأرض الموبوءة ، والخروج منها ممنوعان إسلاميا ، وحكمة المنع فى الحالتين مفهومة ، وهي منع انتقال الوباء من المريض إلى السليم ، ومن جهة إلى أخرى ٠

ومن الأحاديث التي تنص على الاعتراف بالعدوى كناقل للعدوى ٠ حديث رواه الإمام البخـــارى أيضاً وهو « فر مـــن المجذوم كما تفر من الأسد » [1] وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يورد ممرض على مصح » [2] .

وهناك أحاديث أخري صحيحة أيضاً ، لا تقيم للعدوى وزنا ، فلا تجعله عاملاً مسببا ، لنقل الداء ، كقوله عليه الصلاة والسلام « لا عدوى ، ولا صفر ، ولا هامة » فقال أعرابى : يا رسول الله ، فما بال إبلى تكون فى الرمل ، كأنها الظباء ، فيتأتى البعير الأجـرب ، فيدخل بينهـــا فيجربها ؟ فقال : فمن أعدى الأول » [3] وحديث « أن النبى ﷺ « أكل مع مجذوم وقال : « ثقة بالله ، وتوكلا عليه » [4] .

والتوفيق - بين الأحاديث التى أقرت بوجود العدوى ٠ والأحاديث التى عطلت فاعليتها - ليس عسيرا ، فمن المـسلم به أن لا حركة ، ولا سكون للكون ، والإنسان والحياة بدون مشيئة الله تعالى ، وإرادته ، وقضائه ، وحكمه الذى لاراد له ٠ فليست الأسباب إلا عوامل مساعدة ، وثانوية لهذه الحركة ٠ وقد كان المشركون من قبل الإسلام ، يعتقدون أن الجسم المريض يؤثر حتما فى الجسم السليم ، عند وجود الفرصة ، وذلك دون حساب ، أو تقدير لإ رادة الله تعالى ، فالأحاديث التى نفت العدوى ، كانت موجهة إلى هؤلاء الذين كانوا حديثى عهد بالإسلام وكأن النبى ﷺ الذى بعث بدين يدعو إلى وحدانية الله تعالى ربا وإلها ، يريد أن يؤكد لهؤلاء الذين عاصروه ،

(١ ، ٢) فتح البارى ٠

(٣ ، ٤) المصدر السابق ، صفر : حية تكون فى البطن تصيب الماشية ٠

ولكل عصر يأتى بعدهم إلى قيام الساعة قائلا لهم : إن كل مسبب ،وإن كان مرتبطاً بسببه ، إلا أن المسبب والأثر والنتيجة ربما تتخلف ، ولا تتحقق لارتفاع المشيئة الآلهية التى تربط السبب بالمسبب .

وقد بين النبى ﷺ لأمته - تلك القاعدة الإسلامية وطبقها عمليا . بأن أكل مع المجذوم قائلا : « ثقة بالله وتوكلاً عليه » وقال للأعرابى الذى زعم أن للعدوى تأثيراً مستقلاً : « فمن أعدى الأول » .

فلاحتمية وجودية بين السبب والمسبب إلا أن يشاء الله تعالى .

والأحاديث التى اعترفت للعدوى دورا مؤثراً ، شهادة بأن الوباء قدر والفرار منه قدر أيضاً . كما قال الفاروق عمر بن الخطاب لأبى عبيدة بن الجراح ﷺ حين عاتبه بقوله : أفرارا من قدر الله ؟ نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله . آى إن قدر لنا أن نصاب بهذا الوباء ، فسنصاب به فى أى مكان وإن لم يقدر فلا نصاب فى الشام أو فى غيرها .

وربما عدل سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ عن دخول منطقة الوباء حتى لا يعتقد ضعاف الإيمان - إذا أصيب - أنه أصيب بهذا المرض بسبب العدوى وليس بإرادة الله تعالى ، وهذا هو ما حذر منه الرسول صلوات الله وسلامه عليه - حذر الإيمان بانفرادية تأثير السبب فى المسبب . دون مراعاة للمشيئة والارادة الآلهية . ولكي ينفى عليه الصلاة والسلام فاعلية السبب وحدها كانت مؤاكلته مع المجذوم . وقوله للأعرابى : « فمن أعدى الأول » .

وأخيرا نريد أن نؤكد أن الإسلام يحض على الأخذ بالأسباب والتمسك بها ، ولكن - كما قلنا - أن المشيئة الآلهية وحدها هى القادرة على ربط كل سبب بمسببه . وخير ما قيل فى هذا المجال قول الإمام ابن القيم رحمه الله فمما قاله هذا العالم العلامة « إن تعطيل الأسباب ، وإخراجها عن أن تكون أسباباً تعطيل للشرع ، ومصالح الدنيا ، والاعتماد عليها ، والركون إليها ،

واعتقاد أن المسببات بها وحدها . وأنها أسباب تامة شرك بالخالق عز وجل وجهل به ، وخروج عن حقيقة التوحيد » (١) .

إن الامام ابن القيم ﷺ يؤكد لنا أن جوهر الدين الحنيف وروحه وظاهره ، وباطنه مبنية ، وقائمة على أن لا نفع ، ولا خير ، ولا صحة ولا سقم ولا فلاح ، ولا خسران فى الدنيا والآخرة إلا بمشيئة الله تعالى ، وإرادته وقضائه ، وقدره . وهذا فى الحقيقة - هو جوهر الإيمان . إيمان السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم ﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً ﴾ (٢).

فالطاعون - مثلا - مرض وبائى معد ، ولكن تأثير هذه العدوى معطل إلا بمشيئة الله عز وجل وإرادته . ومعجزة الطب النبوى واضحة وجلية ، فى التحذير من خطورة الأمراض المعدية ، ومنها الطاعون والجذام .

والطاعون قد عرفه العلم الحديث بأنه « وباء شديد الخطورة ، أصاب الأمم السابقة ، وكان شديد الفتك بهم ، إن الطاعون يسببه ميكروب صغير يدعى Pastcarella ، وتهاجم هذه الميكروبات ، أو البكتريا الحيوانات القارضة كالفئران والجرذان ، وتنتقل بواسطة براغيث الفئران إلى غيرها من الحيوانات أو الإنسان (٣) » « يتظاهر الطاعون بشكلين رئيسيين :

الطاعون الدملى : والطاعون الرئوى.

الطاعون الدملى : تظهر الاصابة بالطاعون الدملى بين ٢ - ٦ أيام من التعرض للجراثيم . وتكون البداية حادة مع حمى عالية ، وشعور بالإنهاك ، أو الاضطراب والاكتئاب يلى ذلك ظهور الدمل . وهو ورم التهابى مؤلم فى منطقة العقد البلغمية .

---

(١) مفتاح دار السعادة جـ ٢ .   (٢) سورة الفتح : الآية ١١ .

(٣) الوجيز فى الطب الإسلامى .

الطاعون الرئوى : وهو بمثابة التهاب رئوى شديد مسبب من عدوى الطاعون ، إما من شخص مصاب بالنوع الرئوى ، فيعدى بالرذاذ ، أو من إصابة الشخص نفسه بالنوع الدملى فيحدث له النوع الرئوى كمضاعف على مرضه » [1] .

وماذا عن الجذام ، إن الإسلام - كما أسفلنا القول - نهى عن الاقتراب من المجذوم أيضاً ، اعترافا من الإسلام بعامل العدوى · بعد مشيئة الله تعالى · وقد فصل العلم المعاصر القول فى هذا المرض الوبائى فعرف الجذام قائلا بأنه[2] « مرض حبيبى مزمن معد يصيب البشرة ، ويهاجم بأشكاله المختلفة ، الجلد ، والأغشية المخاطية للمسالك التنفسية العليا « يتسبب المرض عن نوع من أنواع البكتريا وهى بطيئة النمو ، ومقاومة للحموضة ، تنمو فى أنسجة الجسم المختلفة ، وطريقة العدوى ليست معروفة ، بالتأكيد ، وقد تكون عن طريق دخول البكتريا فى الجلد أو الغشاء المخاطى المبطن للجهاز التنفسى العلوى [3] « وهناك أمور لا نعلمها مثل لماذا يصاب هذا الشخص المخالط للمجذوم ولا يصاب ذلك الذى هو أكثر خلطة ، وأكثر التصاقا بالمجذوم [4] » ·

وإذا ناقشنا العبارة الأخيرة وهى « هناك أمور لا نعلمها مثل لماذا يصاب هذا الشخص المخالط للمجذوم ، ولا يصاب ذاك الذى هو أكثر خلطة ، وأكثر التصاقا بالمجذوم » لتبين لنا بيانا على وجه التأكيد - عدم فاعلية العدوى كسبب وحيد للإصابة ، دون المشيئة ، والإرادة الآلهية ذات الفعالية الوحيدة فى الإصابة وعدم الإصابة ·

وإيمان الرسول ﷺ بفعالية المشيئة الآلهية وحدها دعاه عليه الصلاة والسلام لمؤاكلة المجذوم قائلا : « ثقة بالله وتوكلا عليه » .

---

(١) الوجيز فى الطب الإسلامى ·
(٢) المصدر السابق ·
(٣) المصدر السابق ·
(٤) المصدر السابق ·

نعم إن موقف العقيدة الإسلامية تجاه السبب والمسبب وعلى وجه العموم قائم ومبنى على الإيمان بوحدانية المشيئة الآلهية فى التأثير والفاعلية دون تجاهل أو تعطيل للسبب كما قال الإمام الجليل ابن القيم رحمه الله ·

* *

(جـ) نظافة البيئة :

البيئة هى : « كل ما يحيط الإنسان ، من هواء ، وماء ونبات ، وحيوان وحتى الإنسان نفسه » [1] .

ويمكننا أن نعرف البيئة ، تعريفاً آخر ، بأنها كل العوامل الخارجية التى لها دخل فى صحة الإنسان العضوية ، والنفسية ، والاجتماعية ، سواء بالسلب ، أو بالإيجاب فالماء والهواء ، والنبات من العناصر الضرورية ، لحياة الإنسان ، ولكل كائن حى ولا تكون حياة الإنسان ، ولا حياة أى كائن حى سليمة ، من الوجهة الصحية ، إلا إذا كانت العناصر الحياتية المشار إليها ، سليمة من الملوثات ، والشوائب الصناعية الناتجة من مخلفات المصانع ، وعوادم السيارات وغيرها ·

ولقد دعا الإسلام إلى المحافظة على جميع مكونات البيئة ، لأن هذه المكونات خلقها الله تعالى ، وسخرها ، لخدمة الإنسان · لكى يؤدى رسالته فى هذه الحياة كما هى مطلوبة منه – إسلامياً – فى مناخ سليم ونقى من كل ما يعوق تأديته لهذه الرسالة ·

يقول تبارك وتعالى عن بعض نعمه التى سخرها للإنسان ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ، وَزَيَّنَّاهَا وَمَالَهَا مِن فُرُوجٍ * وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً

---

(١) القرآن والطب الحديث ·

وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ (١) وقال جل شأنه : ﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ ﴾ (٢) . وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ (٣) .

الله تعالى جلت قدرته خلق السماء ، وزينها . وخلق الأرض برواسيها الثابتات، والنبات المبهج للعين والقلب والنفس، المتعدد الأصناف ، والألوان . ولأن الإنسان حياته مرهونة . ومشــروطه بالماء : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ كان سبحانه رحيما بهذا الإنسان ، فأنزل له من ماء به قوام بقائه ، واستمراره على هذه الأرض التى لن تحيا إلا بهذا الماء ، فتهتز وتنبت من النبات أصنافاً فتصبح الأرض مخضرة .

ومن نعم الله تعالى ، خلق الشمس والقمر ، والليل ، والنهار ، والبحار والأنهار مسخرات بأمر الله تعالى عز وجل ، ومكونة بيئة كونية للإنسان ، ﴿ صُنْعَ اللهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٤) ومن صنعه جل وعلا ﴿ ... سَـخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًـا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ، وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٥) .

ولكن الإنسان ، إنسان القرن العشرين ، الذى ادعى الحضارة الإجتماعية والثقافية ، ماذا فعل بهذه البيئة الكونية الجميلة ، التى خلقها الله تعالى من أجله .

---

(١) سورة ق : الآيات ٦ — ٨ .
(٢) سورة فصلت : الآية ١٢ .
(٣) سورة إبراهيم : الآية ٣٢ ، ٣٣ .
(٤) سورة النحل : الآية ٨٨ .
(٥) سورة النحل : الآية ١٤ .

إن هذا الإنسان الذى يزعم أنه نصير ، ومدافع لحقوق الإنسان والحيوان والنبات . دمر هذه البيئة الكونية ، لوثها بما يسمى بالتجارب النووية . وحكم بالموت والتشويه على الإنسان والحيوان والنبات والأحياء المائية بالنفايات التى يلقى بها هنا وهناك . يلقى بها الإنسان « المتحضر » فى أرض ومياه الدول الفقيرة ، لينشر الأوبئة ، والأمراض ، والميكروبات التى تعجز البحوث الطبية والعلمية عن إيجاد العلاج الناجع لهؤلاء الضحايا المساكين ، وقد فعل إنسان القرن العشرين كل هذه الكوارث والفواجع فى حق أخيه الإنسان ، لأن هذا الإنسان انحرف ، واعوج عن منهج الله تعالى ، لأنه ترك شريعة الله تعالى وراء ظهره .

فما هو موقف الإسلام من قضية البيئة ؟ .

لقد سبق تعريف البيئة بأنها جميع ما يحيط بالإنسان .

والإسلام يرى بعين الرأفة والحب والمودة والصداقة لجميع مفردات ومكونات البيئة ، بدءا بالإنسان إلى الحيوان والنبات ، وانتهاء بالجماد ، ونستطيع القول مؤكدين وغير مبالغين أن الإسلام ، لم يكتف باحترام حقوق الإنسان والحيوان ، بل احترامه هذا شمل النبات والجماد أيضاً .

والأحاديث الصحاح ، والأسانيد ، والمواثيق التاريخيــة خير شاهد عدل ، وأقوى دليل على ما نقول « عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً ، فنزل فيها فشرب ، ثم خرج ، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ بى ، فنزل البئر فملأ خفه ، ثم أمسكه بفيه ، فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له » . قالوا يا رسول الله ، وإن لنا فى البهائم أجراً . فقال : « فى كل ذات كبد رطبة أجر » [1] .

---

(١) فتح البارى .

« فى كل ذات كبد رطبة أجر » أى فى كل كائن حى أجر . إذا راعيتموه بعين الرحمة والرأفة ، ولكل كائن حى حق على المسلم ، فعلى الإنسان حق للحيوان يجب مراعاته بتوفير الغذاء المناسب ، وعدم التعرض له بأى لون من ألوان الأذى فلقد دخلت إمرأة النار بسبب إيذائها لقطة . ففى حديث شريف ما معنا « دخلت إمرأة النار فى هرة حبستها ، لاهى أطعمتها ، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض » إلى هذا الحد حقوق الحيوان - فى الإسلام - مصانة ومحترمة ، إن إيذاء قطة سـبب دخول إمراة فى النار . وهذا إن دل على شىء ، فإنما يدل - بكل تأكيد - على أن الإسـلام يصادق البيئة ، ويعاملها بكل الرأفة ،والمودة .

والرسول ﷺ كانت حياته كلها نموذجاً ومثالاً صادقاً لحبه لبيئته ، وبكل ما يحيط به من كائنات . فقد كان عليه الصلاة والسلام . « يصغى [1] الإناء للهرة لتشرب . وكان يواسى فى موت طائر يلهو به أخو خادمه » [2] .

نعم لقد كان ﷺ النموذج الأخلاقى العظـيم لكل البشر . بلا مبالغة ، ولا عجب فى ذلك . فقد أدبه ربه فأحسن تأديبه .

ونظرة الإسلام للبيئة لا تقف عند احترامه وحبـه وعطفه للكائنات الحية . بل إن هذا الحب يمتد للجماد باعتباره من مكونات البيئة الجغرافية . ففى الحديث النبوى « جبل أحد يحبنا ونحبه » [3] .

« وكانت له - ﷺ قصعة يقال لها الغراء ، وكان له سيف محلى يسمى « الفقار » وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول ، وكان له سرج يسمي الداج ، وبساط يسـمى الكر ، وركوة تسمى الصادر ، ومرآة تسمى المدلة ، ومقراض يسمى الجائع وقضيب يسمى المشوق » [4] .

---

(١) يميل .
(٢) عبقرية محمد للعقاد .
(٣) الموسوعة الإسلامية .
(٤) عبقرية محمد .

إن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يحسن تعامله مع الموجودات كلها سواء كانت إنسانا ، أو حيواناً ، أو جبلاً ، أو حاجة من حاجاته الشخصية فى بيته إنه - عليه الصلاة والسلام - لا يعلمنا كيف نصادق البيئة وحسب . إنه يلقى على الإنسانية جميعاً درساً مفيداً فى فن الحب حب الوجود كله ، ولماذا لا نحب الموجودات كلها . وقد خلقها الله تعالى وسخرها لنا . وإذا أحب الإنسان كل ما يحيط به ، فيعامله كما يعامل أحباءه ،وأصدقاءه ، فلن نجد مشكلة للبيئة ، ولن تشقى المنظمات الدولية بإنفاق الملايين من الدولارات دون جدوى .

وقبل أن يحارب الإسلام التلوث بجميع أشكاله وصوره ، سواء تلوث الهواء أو البحار ، أو الأنهار ، أو الطرقات والشوارع - دعا إلى النظافة والطهارة ، نظافة باطن الإنسان وظاهره .

(أ) **نظافة الظاهر** : إن عبادات الإسلام ، مثل الصلاة التى هى ركن من أركان هذا الدين ، اشترط الإسلام لصحتها شروطا منها طهارة البدن والثوب والمكان ، ولنظافة البدن فرض الوضوء قبل أن يتوجه المصلى إلى ربه مناجيا إياه سبحانه ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ، وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ، وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ .

كما أن الصلاة لا تصح إلا إذا كان ثوب المصلى ومكانه طاهرين . والتعبير الإسلامى بالطهارة أعم وأشمل من التعبير بالنظافة لأنه قد يكون الشىء نظيفاً من الناحية الشكلية ، وليس طاهراً بمفهوم الإسلام للطهارة ، لأن للطهارة شروطا وقواعد قد لا تتوافر فى الشىء النظيف .

فالطهارة مطلوبة فى العبادات أما النظافة بمعناها الشائع ، والمألوف نظافة البيت والشارع ، أو وسائل النقل وغيرها فقد حث عليها الإسلام على وجه التأكيد .

روى أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ ثائر الرأس واللحية فأشار إلى الرأس - كأنه يأمره بإصلاح شعره ففعل ثم رجع فقال ﷺ « اليس هذا خيراً من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان » [1] .

وجاء إليه ﷺ رجل وعليه ثوب دون فقال له « الك مال ؟ قال نعم . قال « من أى المال » قال من كل المال قد أعطانى الله تعالى قال « فإذا آتاك الله مالاً فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته » [2] .

أما نظافة الأماكن العامة فإن الإسلام أولى عناية كبرى بها ، وطالب بأن يكون الطريق ، أو الشارع بلغة عصرنا نظيفا ، وخاليا من كل ما يعترض المارة من أشكال الأذى ، مثل الأشواك ، والأحجار وغيرها كثير خاصة فى دول العالم الثالث . قال ﷺ « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة . أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » [3] .

(ب) **نظافة الباطن** : نعم إن الإسلام مظهر ومخبر ، فكما طالبنا بنظافة كل ما يظهر يطالب الإسلام أيضاً بنظافة كل ما يجيش فى النفوس والضمائر . فلقد جاء بالأخلاق الكريمة . والرسول الكريم يقول : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وأهم مفردات الخلق الإسلامى هو : الصدق ، والأمانة ، والعفة ، والوفاء والشجاعة ومراعاة حقوق الوالدين ، والجار ، والضيف ، والصديق ، وغيرها من القيم البناءة . ونستطيع أن نقول أن نظافة الباطن سبب مهم لنظافة الظاهر لأن الإنسان مادام نقى النفس والسريرة ، طاهر القلب والوجدان يملأه حب الناس والحياة . فهذه الخلال والصفات الجميلة التى يتحلى بها من المؤكد أنها ستنعكس على سلوكه وأفعاله وتصرفاته نحو مجتمعه وبيئته المحيطة به .

---

(١) الموطأ . (٢) الحلال والحرام د . القرضاوى . (٣) صحيح مسلم .

ولعله يكون من المفيد والأجدى . أن نختم الحديث فى قضية البيئة ، بفكر رجل هداه الله تعالى إلى صراطه المستقيم ، فاتبعه ، وآمن به ، ذلكم هو الدكتور / مراد هو فمان سفير المانيا بالرباط ، وفكر هذا الرجل مجدد ومفيد ، لا لأنه اعتق الإسلام بعد مسيحيته وحسب . بل لأنه ذو ثقافة غربية عميقة أولا ، ولأنه ثانياً يتفق معنا فيما ذهبنا إليه من عدوان بعض الدول على البيئة ، وعلى حقوق الدول الأخرى فى التمتع ببيئة نظيفة . يقول الدكتـــــور مراد هو فمان « السبب الحقيقى لما آلت إليه البيئة ؛ من وضع متـدهور وخيم العاقبة ، تجاوز حدود التحمل الطبيعى ، إنما هو اغترار الإنسان غير المؤمن بوجود الله اليوم بجبروته . حيث سولت له نفسه بأنه السيد المسيطر على الطبيعة والبيئة فاعتقد ذلك يقينا . وسغبُه الاستهلاكى النهم بلا حدود لكل ما يُشبع ملذاته على حساب الطبيعة . سادرا فيها لا يرعوى ولا يرعى لها حقاً . كأنما ليس لها حق ذاتى فى الوجود السليم لا تضـار ، أما المسلم فيدرك أنه لا يملك شيئاً ، وأن الملك كله لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ، وأن الله ذرأه فى الأرض لا ليستعبدها بالمعنى المذكور فى الإنجيل ، وإنما هى وديعة ذلول استخلفه الله ليقوم بحقها . و يستغلها استغلالا ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وِإِنَّهُ لغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

« وبوجه عام ، فإن ذلك جميعه يفضى إلى المبدأ الذى يلح على ضرورة حفظ التوازن البيئى . كما نبه على ذلك القرآن لحكمة معلــومة فقال تعالى : ﴿ وَلاَ تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ﴾ [1] .

* *

---

(١) الإسلام كبديل د . مراد هوفمان ، منشورات مجلة النور الكويتية ،

(د) حديث الذباب

يقول تعالى فى كتابه الحكيم : ﴿ لَقَدْ منَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِن أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) .

لقد شرفت البشرية بأن بعث الله تعالى رسولاً من البشر يعلمها الكتاب وهو القرآن ، والحكمة وهى أحاديث الرسول الصحاح عليه صلوات الله وسلامه · وكانت أحاديث النبى عليه الصلاة والسلام حكمة لأن معنى الحديث النبوى من الله عز وجل · وإن كان لفظ الحديث من الرسول ﷺ ·

فالحديث المتوافر فيه شروط الصحة والتواتر المتعلق موضوعه بالمسائل العلمية أو الطبية ، مؤيد للعلوم الطبية فى أى عصر من عصـــور تاريخ العلم أو الطب ·

وحديث الذباب الذى أخرجه الإمام البخارى رضي الله عنه فى صحيحه ونصه ، عن أبى هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه ، ثم ليطرحه فإن فى إحدى جناحيه داء وفى الآخر شفاء » ·

هذا الحديث النبوى - الذى رواه الإمام البخارى رضي الله عنه صحيح وما دام الحديث صحيحاً · فهو حجة طبية ، ودعوة للعلماء ، والباحثين فى مجالات الطب والدواء والعلاج ، أن يجدوا ، ويجتهدوا ، حتى يتبين لهم عن طريق المختبرات ، والتحاليل الطبية - الحجية الطبية والعلمية لحديث الذباب ·

وقد توصل العلماء - فى العصر الحديث · وبعد قرون عديدة · وبعد جهود وبحوث مكثفة إلى الحقيقة العلمية ، التى أشار إليها معلم البشرية محمد ﷺ فى حديث الذباب منذ أربعة عشر قرناً :

١ - « فى بحث ممتع « لحضرة الأستاذ الفاضل إبراهيم أفنـــدى مصطفى

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٦٤ .

عبده المعيد فى الصيدلة ، وتركيب العقاقير بكلية الطب ألقاه فى جمعيه الهداية الإسلامية يوم الخميس ٢٩ من شوال سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩ مارس سنة ١٩٣١م وهى محاضرة طويلة نقتطف منـــها ما يأتى : قال بعد أن ذكر الحـــديث « حديث الذباب » مانصه : وقع كثير فى خطأ تكذيب هذا الحديث زاعمين عدم مطابقته للحقيقة ، وذلك قبل أن تدحض مفترياتهم الأبحاث العلمية الجديدة، منذ بضع سنين ، وتكشف عما تضمنه من بليغ الحكمة . فمعلوم أن الذباب يقع على العفونات والمواد القذرة المملوءة بالجراثيم التى تولد الأمراض المختلفة أيدرون ما هو العمل الجليل الذى خص به الذباب وسخر له . فكما أن الذباب ينقل بعض الجراثيم بملامسته مصـدرها ،فإنه أيضاً يأكل منها أكثر مما ينقل وليس كل واجبه تقليل نسبة وجود الجراثيـم فحسب ، بل إن مايتناوله منها فى فمه يتحول داخل جسمه إلى ما ســماه علماء الطب بالبكتــريوفاج أو « مبعد البكتريا » الـــذى ينتصر على كثير من جراثيم الأمراض ، فيبيدها عن بكرة أبيها ، ولا يمكن لتلك الجراثيم أن تبقى أو يكون لها أى تأثير فى جسم الإنسان، فى حالة وجود البكتريوفاج . فسبحان الخلاق العظيم » [1] .

وهذا دليل آخر من مصدر آخر من وراء البحار ، يشهد بالمعجزة الطبية لخاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وتسليماته عليه :

٢ - « جاء بمجلة التجارب الطبية الإنجليزية عدد ١٠٣٧ عام ١٩٢٧ م قالت : لقد أطعم الذباب من زرع ميكروب بعض الأمراض ، وبعد حين من الزمن ماتت تلك الجراثيم ، واختفى أثرها ، وتكونت فى الذباب مادة مفترسة للجراثيم تسمى « بكتريوفاج » ولو عملت خلاصة من الذباب فى محلول ملحى لاحتوت على « البكتريوفاج » التى يمكنها إبادة أربعة أنواع من الجراثيم المولدة للأمراض ولا حتـــوت تلك الخلاصة أيضـــاً ، على مادة خلاف « البكتريوفاج » نافعة ضد أربعة أنواع أخرى من الجراثيم » [2] .

---

(١) بتصرف عن « مقالات وفتاوى » للشيخ يوسف الدجوى .

(٢) المصدر السابق .

ونكتفى بهذين الشاهدين العلميين من العصر الحديث . العصر الذى يخطف بريقه وبهرجه أبصار المفتونين ، بانتصاراته واكتشافاته التكنولوجية . نقول نكتفى بهذين الشاهدين الماديين على الاعجاز العلمى والطبى للسنة النبوية ، وكما قلنا سابقاً إن الحديث النبوى فى غنى عن شهادة الشهود ، ولكن الشهادة العلمية والمادية ومن العصر الحديث ،ربما يحتاجها « الحسيون » الذين لا يؤمنون إلا بما يدرك بالحواس الخمس .

والحكمة النبوية من غمس أحد جناحى الذباب ، وفى حديث آخر « فليغمسه كله ثم ليطرحه » تتلخص - كما جاءت فى البحثين العلميين السابقين فى « ادخال البكتريوفاج فى الشراب،والبكتريوفاج تقتل الجراثيم التى تكون منها ، والمقصود بالغمس جميع جسم الذبابة لأن الحديث لم ينص على غمس الجناحين فقط » [1] .

« وهذا يدل على أن ذكر الداء والشفاء فى الجناحين لفظى ، لا يفهم منه قصر الضرر والمنفعة عليهما دون باقى الجسم ، وبما أن الجناحين جزء من الجسم ، فإن الطب لا ينفى وجود ميكروب الداء وبكترويوفاج الشفاء فيهما » [2] وصدق الله العظيم الذى يقول ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [3] .

ورب مكابر أو مغالط أو علمانى يقول : وما الذى يدعونا ، أو يضطرنا إلى غمس الذباب فى الشراب - كما جاء فى الحديث الشريف - اليس الأجدى أن انطرح بعيداً كل ما انغمس فيه الذباب من طعام أو شراب ، إيثارا للنظافة وحرصاً على السلامة .

إن أمثال هؤلاء قد اتبعوا السبل فتفرق بهم ، فغاب عن إدراكهم وفهمهم

---

(١) المصدر السابق . (٢) المصدر السابق .

(٣) سورة فصلت : الآية ٥٣ .

أن الإسلام دين الطهر والطهارة والنظافة يقول سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ، وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ، وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ ، وقد أسلفنا القول بإفاضة عن موقف الاسلام من النظافة فى الحديث عن نظافة البيئة ونود أن نؤكد هنـــا أن القرآن الكريم فى آيات عديدة · يحض على الطهارة ، والطهور ، فالصلاة كركن من أركان الإسلام لا تصح إلا بالوضوء ·

والرسول ﷺ القدوة الحسنة ، وأستاذ البشرية ومعلمها والشخصية النموذجية للإنسانية ، إنما أمر ، والأمر هنا للجواز ، وليس وجوبيا - بغمس الذباب الساقط فى الإناء ، لكى يعلمنا مالا نعلمه ، أو نعلمه · ولكننا غافلون عما فيه صلاح ديننا ودنيانا ، إنه عليه الصلاة والسلام - من خلال حديث الذباب يوجهنا إلى أمرين خطيرين :

أولهما : سبق الحديث عنه ، وهو أن الذباب إذا كان ناقلا للجراثيم فهو فى الوقت نفسه - إذا غمس فى المشروب - قاتل لهذه الجراثيم مبيد لها وقد شهدت بهذه المعجزة النبوية فى الطب البحوث العلمية الحديثة ·

ثانيهما : وهو رد مفحم وملقم حجراً القائلين أن الطعام أو الشراب الذى سقط فيه الذباب أحرى وأجدر بسلة المهملات ·

إن النبى محمد ﷺ ، وإن كان أمي القلم ، فهو أعلم البشرية بربه وصفاته · فقد تلقى العلم من عالم الغيب والشـــهادة ، الذى لا يخفى عليه شيء فى الأرض ، ولا فى الســـــماء · وصدق الله العظيم الذى خاطب نبيه الكـــريم قائلا له : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ [1] نعم إن الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام يريد أن يعلمنا : أن الطعام - إسلاميا - طرحه أو إهماله لا يحوز ما دام هذا الطعام نافعاً ، وإذا

---

(١) سورة النساء : الآية ١١٣ ·

كان بعض الناس الميسورى الحال يمكنهم الاستغناء عن الطعام أو الشراب الساقط فيه الذباب . فإن البعض الآخر ربما ليس باستطاعتهم الاستغناء عن هذا الطعام ، والرسول الرءوف الرحيم بالمؤمنين . الحريص على أمته ربما كان يخاطب فى حديث الذباب - هؤلاء الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف فصدقت يا رسول الله .

حقا إن للطعام حرمته واعتباره ، والواجب على الإنسان حفظه وصونه ، وإعطاؤه لمن يستحقه ، فهذه هى قيم الإسلام القائمة على التراحم والتكافل والمودة . وهذه هى حضارة الإسلام . حضارة ترفض وتنبذ الأنانية والأثرة والطغيان المادى الأعمى ، الذى تميزت بها مادية القرن العشرين هذه المادية الشرسة التى لم تتورع أن تنتهك حرمة الطعام ، فتلقى بآلاف الأطنان من القمح فى عرض البحر ، مستندة إلى ذريعة أو هى من بيت العنكبوت هى ما يسمى الحفاظ على السعر العالمى للقمح ، فى الوقت الذى تموت فيه شعوب من بنى البشر - فى أفريقيا وغير أفريقيا من الجوع والعطش والمرض والجهل .

ثم تزعم « الحضارة الغربية قبل ذلك وبعد ذلك - أنها حارسة وحامية لحقوق الانسان فى كل مكان !!

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِن أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾ (١) .

* * *

---

(١) سورة الكهف : الآية ٥ .

الفصل الثالث

وسائل الوقاية من الأمراض النفسية

- المبحث الأول : الإكثار من الطاعات وتجنب المعاصى
- المبحث الثانى : استحضار الإيمان بقضاء الله وقدره
- المبحث الثالث : الدعاء والتوكل مع الأخذ بالأسباب
- المبحث الرابع : ذكر الله بالقلب واللسان
- المبحث الخامس : نصوص من الكتاب والسنة تطرد الوساوس وتطمئن القلوب

المبحث الأول

الإكثار من الطاعات وتجنب المعاصى

قال تعالى عز وجل : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

قال الإمام فخر الدين الرازى – رحمه الله تعالى – ضمن تفسيره لهذه الآية الكريمة : « واعلم أن عيش المؤمن فى الدنيا ، أطيب من عيش الكافر لوجوه » :

أحدها : أنه لما عرف أن رزقه إنما حصل بتدبير الله تعالى ، وعرف أنه تعالى محسن كريم ، لا يفعل إلا الصواب ، كان راضياً بكل ما قضاه وقدره ، وعلم أن مصلحته فى ذلك أما الجاهل فلا يعرف هذه الأصول فكان أبدا فى الحزن والشقاء » .

ثانيها : أن المؤمن أبداً يستحضر فى عقله أنواع المصائب والمحن ويقدر وقوعها وعلى تقدير وقوعها يرضى بها ، لأن الرضا بقضاء الله تعالى واجب ، فعند وقوع المصائب لا يعظم تأثيرها فى قلبه » .

ثالثها : أن قلب المؤمن منشرح بنور معرفة الله تعالى ، والقلب إذا كان مملوءا من هذه المعارف لم يتسع للأحزان الواقعة ، بسبب أحوال الدنيا ، أما قلب الجاهل ، فإنه خال عن معرفة الله تعالى ، فلا جرم يصير مملوءا من الأحزان الواقعة ، بسبب مصائب الدنيا .

رابعها : أن المؤمن عارف بأن خيرات الحياة الجسمانية خسيسة فلا يعظم فرحه بوجدانها ، وغمه بفقدانها .

---

(١) سورة النحل : الآية ٩٧ .

خامسها : أن المؤمن يعلم أن خيرات الدنيا واجبة التغير سريعة التقلب فلولا تغيرها ، وانقلابها لم تصل من غيره إليه » [1] .

لقد حلل الإمام الرازى - رحمه الله تعالى - شخصية المؤمن فى تفسيره للحياة الطيبة التى تكون ثمرة العمل الصالح كما فى الآية الكريمة نعم إن شخصية المؤمن ، من مكوناتها الأساسية ، وسماتها البارزة الإيمان ، والعمل الصالح ، وهذان المكونان ، أو العنصران هما الوقاية الفعالة والحمية القوية ، من الأمراض النفسية التى يصاب بها ، من افتقدهما ، فماذا يعنى الإيمان ، والعمل الصالح ، لكى يكونا سياجا مانعاً من الوقوع فى شرك القلق النفسى ، والتوتر العصبى ، والحزن المرضى ، والخوف بلا مبرر ، والاكتئاب النفسى المدمر وغيرها من الأمراض التى يقف الطـــب الحديث حيالها عاجزاً مكتوف اليدين :

(أ) الإيمان: ونعنى به هنا الإيمان القائم على العلم بالله تعالى وبصفاته ، فكلما كان علم العبد بالله قويا ،كان إيمانه بربه قويا وانعكس ذلك على أخلاقه وسلوكه كما قال المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل وقد كان ﷺ أعلم الخلق بربه، كما قال فى حديث ما معناه ، « أنا أعلمكم بالله وأخشاكم إياه » . ذلك أنه بقدر علمه بربه ، تكون خشيته ، وتقواه .

والقرآن الكريم حصر حقيقة الإيمان فى مؤمنين تحقق فيهم أخلاق حية وأعمال وعبادات تؤكد صدق إيمانهم ، قال عز وجل . ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ

(١) مفاتيح الغيب جـ ٩ .   (٢) سورة الأنفال : الآيات ٢ - ٤ .

اللغو مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ (١)

وهؤلاء المؤمنون بالشروط والأخلاق التى تميزوا بها هم المؤمنون الذين لن يتأثروا بأحزان ، ومصائب ، وكوارث الدنيا ، بل إن هذه المحن جميعاً لا تزيدهم إلا إيماناً وتثبيتاً ويقينا لأن إيمانهم هذا ، وعلمهم بربهم سبحانه ، ومحبتهم إياه هى الحمى والسياج المتين ضد كل مرض نفسى مثل القلق والاكتئاب . والخوف من المستقبل ، ولأنهم بإيمانهم الراسخ والثابت علموا أن ثواب أى مصيبة أكبر منها . ولذلك قال بعض السلف الصالح من الذين ينطبق عليهم وصف الإيمان الحقيقى « وما أصبت فى دنياى بمصيبة إلا رأيت لله فيها ثلاث نعم : أنها لم تكن فى دينى ، وأنها لم تكن أكبر منها ، واننى أرجو ثواب الله عليها » (٢) .

وربما هذا ما يعنيه الإمام الرازى بقوله : « إن قلب المؤمن منشرح بنور معرفة الله تعالى ، والقلب ، إذا كان مملوءا من هذه المعارف لم يتسع للأحزان الواقعة بسبب أحوال الدنيا » .

أجل إن الإيمان الحقيقى جدير بأن يكون للمؤمنين سفينة محكمة ذات ربان حكيم، فى بحر عميق متلاطم الأمواج والأنواء والعواصف والأعاصير .

كما أن الأنسان اليقينى الإيمان على خبرة جيدة بطبيعة الدنيا وأنها دائمة التقلب ، والتحول ، من سره زمن ساءته أزمان أو كما وصفها شاعر فأجاد الوصف :

جبلت على كدر وأنت تريـــــــــدها

صفوا من الآلام والأكـــــــــــدار

---

(١) سورة المؤمنون : الآيات ١ - ٦ .

(٢) الإيمان والحياة د . يوسف القرضاوى .

ومكلف الأيام ضد طبـــــــاعها

متطلب فى المـــــــــاء جذوة نار

(ب) العمل الصالح : إن القرآن الكريم لم يصف الإيمان إلا معطوفاً بالعمل الصالح ، حتى ذهب بعض العلماء أنهما أى الإيمان والعمل الصالح شيء واحد . والعمل الصالح هو تقوى الله تعالى وطاعة رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام . بمعنى اتباع صراط الله المستقيم ، وهدى نبيه ﷺ .

فالعمل الصالح هو تصديق وتأكيد للإيمان .

فمن الطاعات الواقية من الأمراض النفسية : الصلاة فقد كان ﷺ : إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وكان يقول لمؤذنه بلال ﷺ . « أرحنا بها يا بلال » . لأن المصلى يكون فى حمى الله وكنفه ، ومن كان فى حماه وكنفه سبحانه فقد أصبح فى مأمن وملاذ وملجأ من شر ما خلق وذرأ وبرأ .

وكما قال بعض العلماء إن الصلاة تجمع أركان الإسلام الأربعة وهى الصلاة . والصوم والشهادتين ، والحج ، لأن المصلى ممتنع عن الطعام والشراب فهو فى صوم ، وناطق بالشهادتين أثناء صلاته ، كما أنه مستقبل بيت الله الحرام فهو فى حج هذا البيت ، والصلاة علاج ووقاية من الخوف والحزن كأمراض نفسية يقول عز وجــل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَــوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

كما أن العبادات الأخرى مثل الصوم والزكاة والصدقة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعيادة المريض وإفشاء السلام وغيرها تؤكد صلة العبد بربه ، وتجعله فى معية ذى الجلال والإكرام ، ومن كان فى معيته تباركت أسماؤه فلن يمسسه سوء لأنه فى سكينة نفس وطمأنينة قلب .

* * *

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٧٧ .

المبحث الثانى

استحضار الإيمان بقضاء الله وقدره

يقول الله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ فِى أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مِن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ واللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١) .

إن إيمان الإنسان لا يوثق عراه ولا يكتمل إلا إذا آمن ورضى بالقضاء والقدر خيره ، وشره ، حلوه ومره .

ومعنى الإيمان بالقضاء والقدر أن يعتقد الإنسان أن كل ما يصيبه من شر وخير فى نفسه أو ماله ، أو أهله قضى به فى اللوح المحفوظ . فما قدر كان وهو خير له وإن بدا شراً لأن المؤمن كما يقول المبعوث رحمة للعالمين أمره كله له خير « عجبا لأمر المؤمن ، إن أمــره كله له خير - وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » (٢) .

كما أن إيمان المرء لا يكون كاملاً ، إلا بالاعتقاد اليقينى أن الابتلاء بالشدائد ليس مهانة للمبتلى ، وأن الابتلاء بالسراء ليس كرامة ، أو كما قال الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهَانَنِ ﴾ « إن حصول النعمة فى الدنيا ، وحصول الآلام فى

---

(١) سورة الحديد : الآيات ٢٢ ، ٢٣ (٢) مسلم .

الدنيا لا يدل على الاستحقاق فإنه تعالى كثيراً ما يوسع على العصاة والكفرة ، إما لأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وإما بحكم المصلحة ، وإما على سبيل الاستدراج والمكر ، وقد يضيق على الصديقين لأضداد ما ذكرنا ، فلا ينبغى للعبد أن يظن أن ذلك لمجازاة » (١) .

سئل رسول الله ﷺ : « أى الناس أشد بلاء فقال : « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه وإن كان رقة ابتلاه الله حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة » (٢) .

نعم إن الإنسان فى هذه الحياة المشوبة بالأكدار ، والمحن والمصائب لا يمكنه أن يستمر برباطة جأش ، قوى العزيمة ، والإرادة ، يواجه كل صعوبة مهما كانت مستعصية - إلا إذا كان قلبه ، وعقله ، ووجدانه . يعمرها الإيمان والرضا بقضاء الله وقدره خيره وشره ، حلوه ومره .

فالمصيبة مادامت دنيوية تكون هينة ، فهى عما قليل إلى زوال ، وقد علمنا نبينا محمد ﷺ أن نتضرع إلى الله تعالى بالدعاء قائلين : « اللهم لا تجعل مصيبتنا فى ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا » وقد كان السلف الصالح والتابعون بإحسان إلى يوم الدين خير خلف لنبيهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه الأشداء على الكفار الرحماء بينهم رضوان الله تعالى عليهم .

فهذا عروة بن الزبير « أحد فقهاء التابعين فى الإسلام مثل صالح للمؤمن الصابر الراضى . المقدر لنعم الله ، فقد رووا أن رجله وقعت فيها الأكلة فقرر الأطباء قطعها ، حتى لا تسرى إلى ساقه كلها ثم إلى فخذه ، وربما ترقت إلى الجسد فأكلته . فطابت نفسه بنشرها، فعرضوا عليه أن يشرب شيئا يغيب عقله ،

---

(١) مفاتيح الغيب جـ ١٦ .　　(٢) الترمذى

حتى لا يحس بالألم ، ويتمكنوا من قطعها فقال : ما ظننت أن أحدا يؤمن بالله يشرب شيئاً يغيب عقله حتى لا يعرف ربه عز وجل . ولكن هلموا فاقطعوها ، فقطعوها من ركبته وهو صامت لا يتـــكلم ، ولا يـــعرف أنه أنّ (اشتكى) .

« وشاء القدر أن يبتلى الرجل على قدر إيمانه ، ففى هذه الليلة التى قطعت فيها رجله سقط ابن له - كان أحب أولاده إليه - من سطح فمات فدخلوا عليه فعزوه فيه . فقال : اللهم لك الحمد ، كانوا سبعة ، فأخذت واحدا وأبقيت ستة ، وكان لى أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثه ، فإن كنت أخذت فلقد أعطيت ، ولئن كنت قد ابتليت فلقد عافيت » (١) .

ذلك هو النموذج الإيمانى الفريد الذى استـــنار بنور مشكاة النبوة المحمدية ، وارتوى من نبعها الثر الذى لا ينضب معينه .

وفى عصرنا الحاضر نموذج مضاد لذلك النموذج العظيم ، فى عصرنا نموذج رموا أو اداروا ظهورهم للإيمان بالقضاء والقـــدر ، إنهم كما وصفهم القرآن الكريم : ﴿ وَمِن النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ به ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ ﴾ (٢) .

لقد كثر فى عصرنا ، المصابون بالهم والحزن واخترع علم النفس لهذا المرض اسما هو « الاكتئاب » نعم لقد انتشر هذا المرض انتشاراً واســعاً ، فلقد « قيل أن نحو ثلاثة أو أربعة من بين كل ألف مـــن الناس يعانـــون من الاكتئاب » ، وهذا العدد الضخم من ضحايا الاكتئاب كان الفرصة الذهبية ، والكنز الذى لا ينفد لأصحاب المصانع الذين أنتـــجوا الملايين من العقاقير

---

(١) الإيمان والحياة د . يوسف القرضاوى .
(٢) سورة الحج : الآية ١١ .

المهدئة ، والمنومة ، والمسكنة لهذا المرض اللعين - الذى لا علاج له سوى الاستمساك بحبل الله المتين - واستخدام هذه العقاقير بإسراف جنونى أدى بهؤلاء المرضى إلى الإدمان الذى لافكاك منه ، الإدمـــان المدمر للصحة العضوية ، والنفسية ، بل بعض حالات الإدمان يصل بالمريض إلى الانتحار إذا يئس من الشفاء ·

* * *

المبحث الثالث

الدعاء والتوكل مع الأخذ بالأسباب

لقد أسلفنا القول أن الإسلام دين يؤمن ويدعو إلى التمسك بالأسباب ، كوسيلة لتحقيق ما يصبو إليه المسلم من أهداف ومقاصد ·

كما يؤمن أيضاً بعدم فاعلية هذا السبب وحده ، ما لم تواكبه وتؤازره المشيئة الإلهية · ولذلك طولبنا بالدعاء والالتجاء والركون والاعتصام بحبل الله المتين ، كما وعدنا سبحانه ، تباركت أسماؤه بالاستجابة إلينا ، إذا دعوناه مخلصين له الدين فقال عز وجـــل : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٢) .

ولقد كانت حياة الأنبياء والصالحين ، والصديقين قرآنا يمشى على الأرض فقد جاهدوا فى الله حق جهاده ، وصابروا ، وصبروا ، وتضرعوا إلى الله تعالى عز وجل مناجين إياه ، منيبين إليه ، مستغفرين ، تائبين ، ملتمسين الفرج والنصر ، والرحمة منه سبحانه الرحمن الرحيم ·

فهذا سيد الخلق ، وأعلم الخلق بربه ، وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ كم لاقى وعانى ، وقاسى ، فى سبيل دعوته ونشر رسالته ·

فبعد موت عمه أبى طالب بن عبد المطلب ، ثم زوجه خديجة بنت خويلد ، أول من آمنت برسالته من النساء ، صادفته صنوف من الأذى كثيرة ، فخرج عليه الصلاة والسلام إلى الطائف لاخوفا من إيذاء قريش ، وإنما لغله

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٦ · (٢) سورة غافر : الآية ٦٠ ·

يجد في الطائف أذنا صاغية ، وقلبا واعيا لنداء السماء إلى الأرض ، ولكنه ﷺ وفي الطائف أيضاً ، لاقى الصدود ،والجفوة ، وجد أشراف الطائف من يقول له « أخرج من بلدنا » ، وأغروا به سفهاءهم ، فوقفوا له سماطين[1]، وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه ، حتى أصابه شجاج في رأسه ، فانصرف راجعاً من الطائف إلى مكة محزونا ، وفي مرجعه ذلك دعا بالدعاء المشهور دعاء الطائف « اللهم أشكو ضعفُ قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك غضب علي ، فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن يحل علي غضبك ، أو أن ينزل بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ، ولا قوة إلا بك » [2] .

« فأرسل ربه تبارك وتعالى إليه ملك الجبال ، يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة ، وهما جبلاها ، اللذان هي بينهما فقال : لا بل استأني بهم ، لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبده ، لا يشرك به شيئاً » [3] .

« وأقام بنخلة أياما ، فقال له زيد بن حارثة : كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك يعني قريشاً ، فقال ﷺ ، « يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجاً وإن الله ناصر دينه ، ومظهر نبيه » [4] .

هذا هو منهج الإسلام ، في معالجة كل ما يعترض الإنسان في حياته من مشكلات ، وأزمات . وعقبات . منهج قائم على مواجهة الأزمة بالأساليب والوسائل العملية بالإضافة إلى التوكل عليه سبحانه والاستعانة به بالدعاء والتبتل إليه . والقرآن الكريم يقص علينا الكثير من قصص الأنبياء ، والمجاهدين والصابرين الذين ابتلوا بالبأساء ، والضراء ، فلم يهنوا ، ولم يضعفوا ولم يستكينوا بل اتخذوا الأسباب مع التفويض ،والتوكل ، والدعاء .

---

(١) صفوفا .
(٢) زاد المعاد لابن القيم جـ ٢ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) المصدر السابق .

● فسيدنا يعقوب عليه السلام ، حين أخبر أن ابنه الحبيب إلى قلبه وفلذة كبده ، أكله الذئب ، لم يجزع ، ولم يتبرم ، ولم يصرخ ، ولم يسخط وإنما قال لمن حمل اليه هذا الخبر المفجع المبكى والمحزن ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ واللهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾[1] ، « عن الحسن أنه سأل النبى ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ . فقال: « صبر لا شكوى فيه ، فمن بث لم يصبر » ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وَحُزْنِى إِلَى اللهِ ﴾ ، وقال مجاهد فصبر جميل ، أى من غير جزع »[2] .

وامتدت بالشيخ المكلوم سيدنا يعقوب عليه السلام السنوات والسنوات ثقيلة بطيئة ، والقلب المجروح تواق ، ومشتاق ، وملهوف إلى لقاء الحبيب ولكن هذا اللقاء الحبيب المرتقب لا يأتي ، وإنما الوالد الشيخ يبتلى بفقد ابنه الآخر الحبيب أيضاً ، ولكن الكريم بن الكريم بن الكريم ، لم يهتز ولم يستبد به الخوف ، ولم يقل كما قال بعض الجزعين :

وحملت زفرات الضحى فأطقتها

ومالى بزفرات العشى يدان

وإنما قال وكله إيمان وثقة وحسن ظن بالله تعالى ، قال سيدنا يعقوب عليه السلام بعد أن ابتلى بغياب ولده (بنيامين) بعد غياب أخيه يوسف عليه السلام سنوات عديدة : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أنْ يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ ﴾[3] .

وقد استجاب الله تعالى لدعاء سيدنا يعقوب عليه السلام ، فأعاد إليه بصره ، والتقى بأبنيه الحبيبين ، جزاء لصبره وتفويض أمره إلى لله تعالى .

* * *

---

(١) سورة يوسف : الآية ١٨ .
(٢) مفاتيح الغيب جـ ٩ .
(٣) سورة يوسف : الآية ٨٣ .

المبحث الرابع

ذكر الله بالقلب واللسان

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ ألاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (١) .

ولقد كان ذكر الله تعالى سبباً فى اطمئنان القلوب ، لأن من يذكر الله عز وجل ، فإن الله سبحانه سيذكره ، قال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِى وَلاَ تَكْفُرُونِ ﴾ (٢) . وذكره سبحانه لعبده الذاكر يعنى : « ذكره بالإحسان والرحمة والنعمة فى العاجلة والآجلة » (٣) . ومن منّ الله تعالى عليه بالإحسان والرحمة والنعمة فى العاجلة والآجلة ، تمتع بسكينة القلب ، واطمئنان النفس ، وراحة الضمير والوجدان ، ولأن الذاكرين الله تعالى فى معية ذى الجلال والإكرام ، وفى حمى المليك المقتدر ، ومن كان فى معيته عز وجل ، أنزل عليه سكينته .

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، يقول لصاحبه وحبيبه صلى الله عليه وسلم وهما فى الغار - خائفاً لا على نفسه ، وإنما على من بعث رحمة للعالمين يقول : « لو أن أحدهم نظر إلى قدميه ، لأبصرنا ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول له مهدئاً من روعه ﴿ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾ (٤) ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾ .

فأعقبت هذه المعية الآلهية السكنية الربانية التى نزلت على قلب الصديق رضي الله عنه : ﴿ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الرعد : الآية ٢٨ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٥٢ .
(٣) مفاتيح الغيب جـ ٢ .
(٤) سورة التوبة : الآية ٤٠ .
(٥) سورة التوبة : الآية ٤٠ .

نعم إن السكينة نزلت على الصديق أبى بكر ﷺ - كما يقول الإمام فخر الدين الرازى وليس على الرسول صلوات الله وسلامه عليه -- لأنه كما قال الإمام الرازى لم يكن خائفاً : « لأنه لو كان الأمر كذلك ، لما أمكنه أن يقول لأبى بكر : « لا تحزن إن الله معنا » فمن كان خائفاً كيف يمكنه أن يزيل الخوف عن قلب غيره » (١) .

وذكر الله تعالى الدواء والعلاج الشافى ، والواقى من جميع أمراض النفس كالقلق . والخوف ، والحزن ، والاكتئاب ، وغيرها من الاضطرابات النفسية والعصبية - ذكر الله تعالى يكون بالقلب واللسان . والجوارح - فالذكر القلبى هو التفكر ، والتدبر ، والتأمل فى مخلوقاته عز وجل الدالة على قدرته ، وحكمته ، وعظمته سبحانه ، ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢) .

- أما الذكر بالجوارح فيكون بالطاعات ، والعبادات التى أمرنا بها مثل الصلاة التى سميت ذكراً قال تعالى : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ ﴾ (٣) .

- ولما لم يكن الذكر باللسان عبادة بدنية ، أمرنا المولى عز وجل بالاكثار منه دون التقيد بالزمان ، أو المكان . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴾ (٤) وقال عز وجل : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (٥) ، كما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) مفاتيح الغيب جـ ٨ .
(٢) سورة آل عمران : الآية ١٩١ .
(٣) سورة الجمعة : الآية ٩ .
(٤) سورة الأحزاب : الآية ٤١ .
(٥) سورة الأحزاب : الآية ٣٥ .
(٦) سورة المنافقون : الآية ٩ .

ودوام الذكر - كما يقول ابن القيم ﷺ - سبب لدوام المحبة ، ومن أفضل الذكر ، ذكره بكلامه ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (١) ويؤيد ابن القيم - فى أن المقصود بالذكر فى الآية الكريمة هو القرآن - جمع من المفسرين ، وذلك لأن المسلم لتوكله على الله يعيش فى الدنيا عيشاً طيباً .

كما قال تعالى ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ والكافر بالله يكون حريصاً على الدنيا ، طالبا للزيادة أبداً ، معيشته ضنك ، وحالته مظلمة » فا لذكر بالقرآن الكريم - فضلا - عن كونه عبادة وتقربا إلى الله عز وجل . فهو - أى القرآن - شفاء لما فى الصدور ،والنفوس، والقلوب من أمراض وآفات وعلل .

ومن أذكار النبى ﷺ التى كان يقولها عند الكرب ، أو إذا حزبه أمر « لا إله إلا الله العظيم الحليم . لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات ، ورب الأرض ، رب العرش الكريم » (٢) .

وذكر رسول الله عليه الصلاة والسلام هذا من الكلمات الخبرية اللفظ الانشائية المعنى . كقول سيدنا يونس عليه السلام ، وهو فى بطنه الحوت « لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين » فقوله « لا إله الا أنت » اعتراف بتوحيد الألوهية ، وتوحيد الألوهية يتضمن أحد نوعى الدعاء ، فإن إلاله هو المستحق لأن يدعى دعاء عبادة ، ودعاء مسألة ، وهو الله لا إله إلا هو . وقوله : ﴿ إِنِّى كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ اعتراف بالذنب ، وهو يتضمن طلب المغفرة ، فإن الطالب تارة يسأل بصيغة الطلب ، وتارة يسأل بصيغة الخبر » (٣) .

ولما كانت هذه الدعوة - دعوة سيدنا يونس عليه السلام - متضمنة

---

(١) سورة طه : الآية ٢٤ .
(٢) الأذكار
(٣) مفرج الكروب لابن تيمية .

شرطين هما التوحيد ، وطلب المغفرة بعد الإقرار بالذنب كانت دعوة مستجابة . فقد فرج الله تعالى بها كرب ذى النون عليه السلام قال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ ، وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] المؤمنون الذين يدعون بدعوة سيدنا يونس عليه السلام. كما قال عليه الصلاة والسلام : « دعوة أخى ذى النون « لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين » ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربته » [2] .وقد علمنا رسولنا الكريم سيدنا محمد ﷺ ، ما نقوله ، عند الإصابة بالهم أو الحزن . فقد قال عليه الصلاة والسلام « من أصابه هم أو حزن فليدع بهذه الكلمات ، يقول : اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك . ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك . أسألك بكل اسم هو لك .سميت به نفسك ،أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك . أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن نور صدرى ، وربيع قلبى ، وجلاء حزنى ، وذهاب همى » فقال رجل من القوم إن المغبون لمن غبن هؤلاء الكلمات. فقال أجل فقولوهن وعلموهن . فإنه من قالهن التماس ما فيهن أذهب الله تعالي حزنه وأطال فرحه » [3] .

والإسلام دين يحض على السعى ، والعمل ، والكفاح فى سبيل العيش الكريم ، ما دامت وسيلة هذا العيش فى الإطار المشروع إسلامياً وعلى المسلم فى سعيه وكفاحه الاستعانة بالله تعالى ، والتوكل عليه والتفويض فى جميع ألوان نشاطه وكده ، تاركا النتائج والعواقب على الله تعالى . فإذا كانت هذه النتائج كما يرجو حمد الله تعالى ، وإن لم تكن صبر ولم ييأس من مواصلة العمل . ولذلك حارب الإسلام ونهى عن المشاعر السلبية كالندم والتردد والخوف المرضى من المجهول .

ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ :

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٨٨ .　　(٢) الترمذى .
(٣) سنن أبى داود والترمذى .

« المؤمن القوى خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف وفى كل خير · أحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله · ولا تعجزن وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا ولكـن قل قدر الله ، وما شـــاء فعل · فإن « لو » تفتح عمل الشيطان » ·

إن منهج الإسلام فى الصحة النفسية قائم على علاج النفس باللجوء ، واللياذ إلى خالق النفس والروح والجسم سبحانه وتعالى ، مع اعتراف هذا المنهج - كما قلنا :

أولا : بالأخذ بالأسباب العلاجية الأخرى وعدم إهمال وظيفة الطب النفسى فيما يفيد النفس البشرية ·

وثانياً : يقر الإسلام بأهمية دور المواجهة ، والتعامل مع العوامل والبواعث الحقيقية للمرض النفسى سواء كانت اجتماعية أو صحية عضوية ، أو بيئية · والبحث الجاد عن حلول عملية لهذه المشكلات ورغم واقعية المنهج الإسلامى فى مجالات الصحة النفسية والإجتماعية والبيئية ، فإن الذين فى قلوبهم زيغ من العلمانيين ومن سار فى دربهم أداروا ظهورهم لنداء السماء إلى الأرض ، ووضعوا أصابعهم فى آذانهم ·

وأمثال هؤلاء المكابرين والمغالطين ابتلى بهم التاريخ الإنسانى فى جميع عصورة ومختلف عهوده ·

ففى عصر النبوة المحمدية ، كان فريق من هؤلاء يرفضون الإيمان برسالة محمد ﷺ حتى لو تجسد لهم الإيمان فى كتاب ولمسوه بأيديهم · ولقد حكى عنهم القرآن الكريم قائلا : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مبِينٌ ﴾ (١) ، وقال تعالى :

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٧ ·

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾ (١) .

نعم إنهم لا يريدون أن يؤمنوا ، لا لأنهم يفتقدون الدليل والبرهان على صدق الإيمان ، بل لأن قلوبهم مطموسة ، وعلى سمعهم وأبصارهم غشاوة فهم أعداء الحق فى كل وقت وآن ، منكرون ضوء الشـمس فى رابعة النهار : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٢) .

إن دين الإسلام ، وشريعته ، وتصوره للإنسان ، والكون والحياة ليست موجهة إلا للنفوس السوية ، والقلوب البصيرة الواعية ، فالإسلام إنما جاء ليخاطب هؤلاء ذوى الملكات والأفئدة الطيبة يقول تعالى : ﴿ آلم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) ، وقال تعالى ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِـنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ (٤) ، ﴿ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِىَ الرَّحْـمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ (٥) ، ﴿ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾ (٦) ، ﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِىَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ (٧) ، ﴿ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٨) .

إن العصر الحديث قد أدان الطب النفسى - فى كثير من مجالاته - وحكم عليه بالعجز والفشل . فهذا الطب الذى بلغ شأوا كبيراً فى كثير من أبحاثه لم ينقذ دولة كالسويد التى بلغت من الرفاهية المادية ، والوفرة فى

---

(١) سورة الحجر : الآية ١٤ ، ١٥ .
(٢) سورة الأنفال : الآية ٣٢ .
(٣) سورة البقرة : الآية ١ , ٢ .
(٤) سورة آل عمران : الآية ٧ .
(٥) سورة يس : الآية ١١ .
(٦) سورة يس : الآية ٧٠ .
(٧) سورة ق : الآية ٣٢ ، ٣٣ .
(٨) سورة ق : الآية ٣٧ .

المنتجات الاستهلاكية · والتقدم الملحوظ فى شتى الخدمات لم ينقذها تقدم الطب النفسى من الحياة القلقة ، والمضطربة حياة كلها ضيق وتوتر ، وشكوى ، وسخط وتبرم ، ويأس · ونتيجة لهذا يهرب الناس من هذه الحياة الشقية النكدة عن طريق « الانتحار » الذى يلجأ إليه الآلاف من الناس تخلصا مما يعانونه من عذاب نفسى آليم » « إن السر وراء هذا الشقاء يرجع إلى أمر واحد هو فقدان الإيمان ، أى إيمان » [1] .

فما رأى العلمانيين والحسين والماديين ·

﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾ [2] .

* * *

(١) مجلة روز اليوسف الإيمان والحياة ، د · القرضاوى ·

(٢) سورة الإسراء : الآية ١٠٧ ، ١٠٨ ·

المبحث الخامس

نصوص من الكتاب والسنة تطرد الوساوس وتطمئن القلوب

قال تعالــى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (١) .

إن اللجوء إلى الله تعالى ، والتضرع ، والإنابة إليه ، بطاعته ، وبامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، واستغفاره ، فى كل ساعة ولحظة من حياة المسلم أمر تفرضه عقيدة التوحيد ، وشريعة الإسلام ، لأن حياة المسلم كلها ينبغى أن توجه لمرضاة الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) .

ولنا فى أنبياء الله تعالى ، صلوات الله وسلامه عليهم الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة ·

فقد كانوا عليهم الصلاة والسلام - دائمى الاستعاذة والاستجارة بربهم تعالت أسماؤه ، وجلت قدرته ·

فهذا خاتم الأنبياء والمرسلين ، المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأعلم الخلق بربه تعالى كان مما يقوله « أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ

---

(١) سورة الأعراف : الآيات : ٢٠٠ ، ٢٠١ ·

(٢) سورة الأنعام : الآيات ١٦٢ ، ١٦٣ ·

بعفوك من غضبك ، وأعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

وهذا هو سيدنا نوح عليه السلام . قد استعاذ بربه سبحانه : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾ [1] ، وهذا سيدنا موسى عليه السلام لما أمر قومه بذبح البقرة قال قومه : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [2] .

« فأعطاه الله خلعتين إزالة التهمة واحياء القتيل ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾ [3] .

وهذه أم مريم التي قالت : ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [4] ، فوجدت الخلعة والقبول ، وهو قوله : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ [5] .

وإن الله تعالى أمر محمداً عليه الصلاة والسلام بالاستعاذة مرة بعد أخرى فقال ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ [6] وقال: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ « فهذه الآيات دالة على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يستعيذون من شر شياطين الإنس والجن » [7] .

وإنما أمر الله تعالى أنبياءه من الاستعاذة من شر الشياطين ونزغاتهم ، ووساوسهم ، سواء كانت مصدرها الشيطان أو النفس البشرية لأن هذه الوساوس في كلتا الحالتين سبب مباشر لكثير من الفتن، والحقد ، والبغضاء

---

(١) سورة هود : الآية ٤٧ .
(٢) سورة البقرة : الآية ٦٧ .
(٣) مفاتيح الغيب .
(٤) سورة آل عمران : الآية ٣٦ .
(٥) سورة : آل عمران : الآية ٣٧ .
(٦) سورة المؤمنون : الآية ٩٧ ، ٩٨ .
(٧) مفاتيح الغيب .

بين الإنسان وأخيه ، أو بينه وبين نفسه . والأنبياء والمرسلون وإن كانوا معصومين من المعاصى . فربما تكون استعاذتهم عليهم الصلاة والسلام من ترك الأفضل . أو الاستعاذة من صغائر الذنوب « فإنها جائز : على الأنبياء بالسهو والعمد » [1] .

١ - ومن النزعات التى تؤدى إلى الخصومات أو التقاتل أو التصارع ما حدث بين رجلين عند النبى ﷺ « فقد استبا وأغرقا فيه فقال ﷺ : « إنى لأعلم كلمة لو قالاها لذهب عنهما ذلك ، وهى قوله « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

٢ - ومن الوساوس التى قد تعترى الإنسان ما جاء فى صحيحى البخارى ومسلم « عن أبى هريرة رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول : من خلق ربك . فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته » وفى رواية فى الصحيح « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق . فمن خلق الله . فمن وجد من ذلك شيئاً ، فليقل : آمنت بالله ورسوله » .

ولخطورة الوساوس الشيطانية على حياة المسلم بآثارها السلبية وكمعوق لعبادة الله تعالى خالصة ، وكمعرقل لحياة المسلم الدنيوية فلا يمكن للإنسان أن يحيا حياة طيبة ، دينا ودنيا ، ما لم تكن النفس مطمئنة ساكنة .

من أجل ذلك كله كان معلم البشرية ﷺ يتعهد أمته - وهو الرءوف الرحيم - بين الحين والآخر بالنصيحة والتوجيهات والإرشادات النبوية النافعة فى دنياها وآخرتها .

روى معقل بن يسار رضي الله عنه : عن النبى ﷺ أنه قال : « من قال حين

---

(١) مفاتيح الغيب جـ ١٤ .

يصبح ثلاث مرات : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر . وكل به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى . فإن مات فى ذلك اليوم مات شهيدا، ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة » (١) .

« عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال : « إذا فزع أحدكم من النوم فليقل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه ، وعقابه ، وشر عباده ،ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فإنها لا تضره » (٢) .

وعن ابن عباس عن النبى ﷺ : « أنه كان يعوذ الحسن والحسين ؓ ، ويقول « أُعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » ويقول « كان أبى إبراهيم عليه السلام يعوذ بها إسماعيل وإسحاق عليهما السلام » (٣) .

والوسوسة كما يكون مصدرها الشيطان ، يكون - أحياناً - مصدرها الإنسان الذى اتبع الشيطان فكان من الغاوين . أو ﴿ اتَّخَذَ آلهَهُ هَوَاهُ ﴾ . وهذا الصنف من الناس أمرنا الله تعالى أن نستعيذ من شره ، ووسوسته ، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * آلَه النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ* الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ .

والناس الذين نستعيذ من شرورهم هم أعوان الشيطان الذين أغواهم وأوقعهم فى شراكه .

ولقد حذر الله تعالى عباده المخلصين من الوقوع فى حبائل الشيطان لأن الشيطان عدو مبين للإنسان ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ، إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٤) .

كما أن ذكر الله تعالى منجاة من شرور الشيطان ووساوسه ونزغاته ، قال

---

(١) مفاتيح الغيب جـ ١ . (٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق . (٤) سورة فاطر : الآية ٦ .

عليه الصلاة والسلام « الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا ذكر الله تعالى خنس ، وإذا غفل وسوس » .

وأعوان الشيطان الذين يزرعون الشر ، وينشرون الفتنة ويثبطون همم المؤمنين يسخرهم الشيطان لأغراضه الخبيثة تبعا لكل عصر وزمن .

ففى إبان الدعوة الإسلامية ، كانوا يحاولون بشتى الوسائل والطرق الوقوف أمام انتشار الإسلام والانتصار على أعداء الدين الحنيف ، ولكن المسلمين الأوائل باعتصامهم بحبل الله المتين ، وقوة إيمانهم ، ويقظتهم لألاعيب الشيطان حالوا دون تنفيذ المخطط الخبيث .

فهذا هو نُعيم بن مسعود الأشجعى حاول أن يقتل الروح المعنوية للجماعة المسلمة وهى تهم للخروج للقاء جيش المشركين بقيادة أبى سفيان .

ويأتى نعيم بإيعاز من أبى سفيان الذى رأى أنه مهزوم من قبل المسلمين إذا التقى بهم محاربا ، يأتى نعُيم هذا إلى المسلمين ليقول " « ما هذا بالرأى ، آتوكم فى دياركم ، وقتلوا أكثركم فإن ذهبتم إليهم ، لم يرجع منكم أحد » [1] .

فلما عرف الرسول ﷺ ذلك قال : « والذى نفس محمد بيده لأخرجن إليهم ولو وحدى » .

وفى هذا الشأن نزلت الآية الكريمة : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [2] .

وفى عصرنا الحالى لا يكف تلاميذ الشيطان عن الوسوسة والنزغ

---

(1) مفاتيح الغيب جـ ٤ .

(2) سورة آل عمران : الآية ١٧٣ ، ١٧٤ .

والهمزات ينفثون أفكارهم المدمرة بسمومهم التى تستهدف الإسلام، وشرائعه ، وأحكامه ، ومنهجه ، تارة باسم حرية النشر أو القول ، أو التأليف ، وتارة باسم الفهم المعاصر ، أو التطوير أو التجديد ، إن هى إلا أسماء اخترعتها جهالة جهلاء ، وضلالة عمياء ﴿ فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ ، وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ ﴾ صدق الله العظيم .

﴿ رَبَّنا آمنا بما أنزلْتَ واتَّبعنَا الرَّسولَ فاكتُبنا مَع الشَّاهِدِينَ ﴾

حدائق حلوان فى شهر رمضان المعظم سنة ١٤١٧ هـ

الموافق يناير سنة ١٩٩٧ م .

* * *

مصادر الكتاب

١ - القرآن الكريم

٢ - صحيح البخارى ·

٣ - صحيح مسلم ·

٤ - مفاتيح الغيب - للفخر الرازى ·

٥ - روح المعانى - للألوسى

٦ - فى ظلال القرآن - سيد قطب ·

٧ - فقه السنة - الشيخ سيد سابق ·

٨ - الأذكار من كلام سيد الأبرار - للإمام النووى ·

٩ - الشرح الصغير - للشيخ الدردير ·

١٠ - مفرج الكروب - شيخ الإسلام ابن تيمية ·

١١ - القرآن والطب الحديث - د · صادق عبد الرضا ·

١٢ - الوجيز فى الطب الحديث - د · هشام إبراهيم الخطيب ·

١٣ - الطب الوقائى فى الإسلام - د · شوقى الفنجرى ·

١٤ - الأطعمة القرآنية - د · محمد كمال عبد العزيز ·

١٥ - العلاج الطبيعى والنباتى على هدى الكتاب والسنة - د · محمد حماد ، ود· · محمد رجائى ·

١٦ - التغذية والمشروبات الروحية - د · أمين رويحه ·

١٧ - العلاج بالتمر والرطب - م · نبيل على عبد السلام ·

١٨ - الإنسان ذلك المجهول - الكسيس كاريل ترجمة شفيق أسعد فريد ·

١٩ - الطب النبوى - لابن القيم ·

٢٠ - زاد المعاد - لابن القيم ·

٢١ - مفتاح دار السعادة - لابن القيم ·

٢٢ - مدارج السالكين - ابن القيم ·

٢٣ - عبقرية محمد - عباس العقاد ·

٢٤ - الموسوعة الإسلامية - منشورات دار الغد ·

٢٥ - الطب النبوى - للذهبى ·

٢٦ - الحلال والحرام - د · يوسف القرضاوى ·

٢٧ - الموطأ - للإمام مالك ·

٢٨ - الغذاء لا الدواء - د · صبرى القبانى ·

٢٩ - الغذاء والتغذية - د · محمد ممتاز الجندى ·

٣٠ - المعجزة الكبرى القرآن - للإمام محمد أبو زهرة ·

٣١ - التداوى بالصيام تأليف هـ · م شيلتون إعداد دار الرشيد / دمشق ·

٣٢ - موسوعة الطب النفسى - د · عبد المنعم الحفنى ·

٣٣ - القرآن وعلم النفس - د · محمد عثمان نجاتى ·

٣٤ - الإسلام كبديل - د · مراد هو فمان ترجمة د · غريب محمد غريب قسم الترجمة - مؤسسة بافاريا · منشورات مجلة النور الكويتية ومؤسسة بافاريا ·

٣٥ - الإيمان والحياة - د · يوسف القرضاوى ·

٣٦ - فتاوى ومقالات الشيخ الدجوى ·

* * *

الفهـــرس

الموضوع — الصفحة

الفصل الأول
ملامح الإعجاز الطبى
فى الطيبات من الرزق
(٢١ - ٤٤)

الفصل الثانى
ملامح الإعجاز الطبى
فى الوقاية من الأمراض
(٤٥ - ١٠٢)

الموضوع الصفحة

الفصل الثالث

وسائل الوقاية من الأمراض النفسية

رقم الإيداع	٩٧ / ٥٠٩٨
I.S.B.N الترقيم الدولى	977 - 19 - 3326 - 4

سلسلة

« لابد من دين الله . . لدنيا الناس »

تصدرها مكتبة وهبة تباعاً

* صدر من هذه السلسلة

١ - الحداثة سرطان العصر .. أو ظاهرة الغموض فى الشعر العربى .

للدكتور عبد العظيم المطعنى

٢ - أدعياء التجديد .. مبدِّدون لامجددون .. للدكتور على العمارى

٣ - التنوير .. لا التضليل للأستاذ مؤمن الهباء

٤ - منهاج الإسلام .. فى حياة الفرد والمجتمع للأستاذ عبد السميع المصرى

٥ - لماذا لابد من دين الله لدنيا الناس ؟ للدكتور عبد العظيم المطعنى

٦ - فوائد البنوك ، والاستثمار ، والتوفير .. فى ضوء الشريعة الاسلامية

للدكتور رمضان حافظ السيوطي

٧ - الأمة الإسلامية حقيقة .. لاوهم للدكتور يوسف القرضاوى

٨ - مصادر الابداع بين الأصالة والتزوير للدكتور عبد العظيم المطعنى

٩ - جوانيات الرموز المستعارة .. لكبار أولاد الحارة للدكتور عبد العظيم المطعنى

١٠ - دور الأزهر السياسى فى مصر .. إبان الحكم العثمانى

دكتور عبد الجواد صابر إسماعيل

١١ - تغييب الاسلام الحق .. ودحض افتراءات دعاة التنوير على القر

للدكتور محمود تو

١٢ - المسيحيون والمسلمون فى تلمود اليهود «غرائب وعجائب »

للدكتور عبد ا

١٣ - الاعجاز الطبى فى الكتاب والسنة

الأستاذ حسن ياسين عبد القادر